

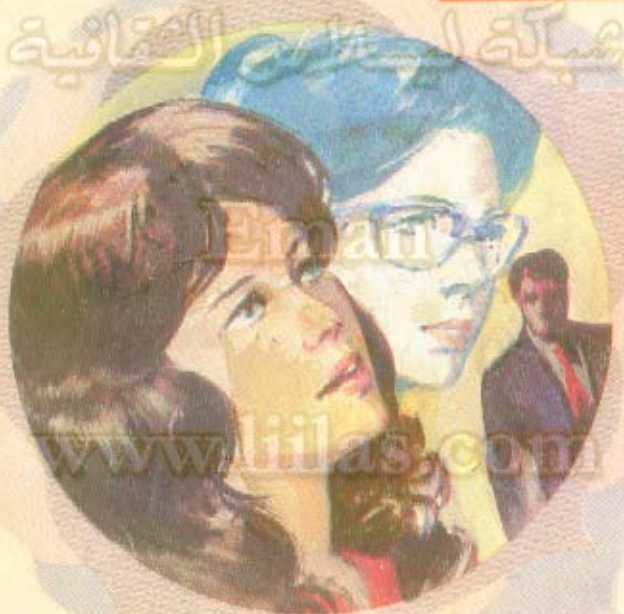


— روايات مصرية للجيب —

وَذَابُ الْحَبِيبِ

زہور

19



د. نبیل فاروق

التأليف
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

[illegible]

المؤلف



د. نبيل خوارزمي

السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب
أو الأم حرجاً من وجودها بالمنزل

شبكة ليلاس العناني

وذئاب الجليل

عاشت (أميرة) شاباً كله في دواء
الطموح. وجاهدت لتصل إلى أرفع المناصب.
ثم التقت بحبيبها القديم (ماهر) ... جمعتهما العمل.
وعادت بهما الذكريات إلى أيام الحب، ولكن (أميرة)
كانت قد أحاطت قلبها بغلاف جليدي، حتى
لا يعوقها الحب عن تحقيق طموحاتها، فهل
تستسلم ختها؟ وهل يذوب الجليد؟

www.lilas.com



التمن في مصر

وما يعادل دولاراً أمريكياً في سائر الدول العربية والعالم

زهور

في بستان الحياة دائماً ركن مضيء ..
حيث تنبت الزهور ..
زهور الحب ..
أوراقها قلوب الهوى ..
فروعها نبض الأمل ..
عبيرها دفء الحياة ..
في كل رواية دعنا نتأمل زهرة ..
وفي عطرها نغمس الأوراق والأقلام ..
ثم إليك نهديها ..
فتعال ننقل معاً ..
بين ربوع البستان ..
من زهرة .. إلى زهرة ..

د. نبيل فاروق

١ - رحلة الأيام ..

« رائع يا آنسة (أميرة) .. أنت بحق أكفأ رئيس قسم في شركتنا » .

انتفخت أوداج (أميرة) ، وملاها شعور بالفخر والسعادة ، حينما هتف رئيس مجلس إدارة الشركة بهذه العبارة في إعجاب واضح ، قبل أن يستطرد في حماس :
— سأعمل على أن يناقش مجلس الإدارة تقريرك هذا ، في اجتماع الغد بإذن الله ، ولكنني أستطيع أن أضمن لك موافقتهم بالإجماع ، نظراً لثقتهم الشديدة في رجاحة آرائك دائماً .

وملأت ابتسامة واسعة وجهه ، وهو يصفاحها في حرارة ، مردفاً :

— أنت فخر لشركتنا يا آنسة (أميرة) .

صافحته (أميرة) بيد مرتجفة ، من فرط سعادتها وغمغمت بصوت ملؤه الانفعال وهي تعدل من وضع منظارها الطبي أمام عينيها ، من دون مبرر ، اللهم إلا محاولتها مداراة انفعالها :

وذاب الجليد

في بحار الحب أمضى كالغريب

زورق يطفو على موج شريد

ورياح الحزن تسرى كاللهيب

وجراح النفس ربان عبيد

ودروب العشق تسأل : من يديب

نفض حب في قلوب من جليد

(نيل)

— عملي في الشركة هو كل الفخر يا سيدى .

وأمرعت تغامر مكتب رئيس مجلس الإدارة ،
قبل أن يغلبها تأثرها ، فتنهزم من عينيها دموع السعادة ،
وأمرعت الخطأ إلى مكتبها الأنيق ، وهتفت في صوت
صارم ، وهى تعبر حجرة سكرتيرتها ، الملحقة بحجرة
مكتبها .

— لا أريد أية مقابلات خلال النصف ساعة القادمة .
وأغلقت باب مكتبها في رجلة ، ووقفت أمام
ثلث ، وكأنها بذلك مجهوداً خرافياً ، قبل أن ترفع
منظارها عن عينيها ، وتترك لدموعها العنان ..
كان هذا ما يصيبها دائماً ، كلما أحرزت نجاحاً
جديداً ، فى الشركة التى منحتها كل اهتمامها ومشاعرها
منذ التحقت بها كموظفة صغيرة ، بعد تخرجها من
كلية التجارة ..
وفى خطوات بطيئة شاردة ، سارت إلى حيث
مكتبها ، وجلست خلفه ، دون أن تحاول تخفيف
دموعها ، التى بللت وجهها ..

***** ٦ *****

لم تفعل إلا حينما انتابها رغبة قوية فى التطلع إلى
مكتبها ، الذى تحفظ كل ركن فيه ، والذى يحلو لها
التطلع إليه كرمز لنجاحها ..
وقفزت بها الذكريات إلى الوراء ..
إلى سبع سنوات مضت ..

كانت — حينذاك — فى الثانية والعشرين من
عمرها ، حاصلة على بكالوريوس التجارة بدرجة
جيد جداً ، وكان الجميع يتوقعون قبولها لمنصب معيد فى
قسم المحاسبة .. ذلك المنصب الذى بات مضموناً ، بعد
حصولها على درجة الامتياز فى هذا الفرع من العلوم
التجارية ..

ولكنها رفضت ..

كان رفضها مثيراً للدهشة الجميع ، وسبباً لحيرتهم
وتساؤلهم ..

ربما لأن أحدهم لم يفهمها ..

ربما لأنهم لم يقدرُوا طموحها ..

صحيح أن للمنصب بريقه ، وللعمل فى هيئة تدريس

***** ٧ *****

جامعية رنينه الاجتماعى الأنيق : إلا أنه لم يكن يساوى
شيئاً أمام طموحها الجارف ..

لقد كانت (أميرة) تتطلع إلى ما هو أكبر من
ذلك بكثير ..

لقد عاشت حياتها تتطلع إلى ذروة النجاح ..
إلى القمة ..

وكانت ترفض الارتباط بأية وظيفة روتينية ،
تخضع للأوامر والروتين ، والتواعد الجافة الجامدة .
حتى ولو كانت وظيفة جامعية ..

لقد كانت دائماً ذكية ، متعجلة ، تكره القيود
والروتين ..

وربما كان هذا أحد رواسب منشأها ..

لقد نشأت (أميرة) وسط عائلة متوسطة الحال ،
محباً في منزل متواضع بأحد أحياء القاهرة القديمة ،
وعاشت حياتها وسط أسرة تقليدية ، لا تعاني شغل
العيش ، ولكنها لا تستطيع الحصول على أكثر من
الضروريات ..

***** ٨ *****

الضروريات فقط ..

وهكذا نجح الغالبية العظمى من عائلات مصر ،
وهكذا نجح الملايين في مدنها وقراها ..

ولكن (أميرة) كانت واحدة من المتمردات على
هذا النوع من العيش ..

كانت تتساءل دائماً : لم لا تكون واحدة ممن يعشن
في الطرف الآخر من المجتمع ، حيث الثراء والنعيم ..
حيث لا وجود لذلك الخط الفاصل بين
الضروريات والكماليات ، وإنما توجد فقط (مرغوبات) .
حيث يقتنى الإنسان ما يرغب في اقتنائه ،
لا ما يضطر للاكتفاء به ..

ولقد حددت (أميرة) هدفها وطريقها ، وهى
بعد طالبة في السنة الأولى بكلية التجارة ..
وكانت من ذلك النوع الواقعى ، الذى يحسن
تقدير إمكاناته ، واستغلالها ..

وبحسبة منطقية بسيطة ، وجدت أن الطريق الوحيد
لتحقيق أحلامها هو التفوق ..

***** ٩ *****

وتفوّقت ..

وحينما رفضت ذلك المنصب المضمون في هيئة التدريس بالجامعة ، رأت الاستنكار في عيون الجميع . حتى والدها أعلن عن تبرمه من قرارها ، واستيائه منه ، فقد كان يأمل أن تقبل ابنته الكبرى الوظيفة ، لتحمل عنه بعض أعباء المعيشة ، وازداد ضيقه أمام إصرارها على الرفض ، دون أن يحاول مناقشة رأيها ، أو البحث فيما يخفى خلف هذا الرفض ..

الجميع عجزوا عن فهمها ، إلا هو ..

إلا (ماهر) ..

وترددت ذكرياتها لحظة ، قبل أن تهمس في تحجل :

— ربما لأنه كان يحبها ..

وتوقفت بها الذكريات عند هذه النقطة ، وانطلقت من أعماق صلورها تنهيدة قوية ، وهي تسترجع ملامح (ماهر) زميلها في الكلية ..

كان ، حتى آخر مرة رآته فيها ، منذ ست سنوات ،

***** ١ *****

وسيماً ، أنيقاً ، على الرغم من قلة حاله ، الذي يبدو واضحاً من ثوبيه ، اللذين يبدلها طوال العام ، إلا أنه لم يفقد أبداً مظهره المهندسم ، ولا أناقته ، ولا رفته وحنانه ..

كان الناظر إليه يتصور دوماً أنه هناك بحر من الحب والعاطفة ، ي موج في عينيه ، ويمتزج بلمحة حزن غامضة ..

وكان جاداً رصيناً ..

ومثل عرفته (أميرة) ، وحتى هذه اللحظة ، لا يمكنها أن تجزم أبداً بحقيقة مشاعرها نحوه ، وإن كانت واثقة من أنه يحبها ..

كان هذا واضحاً في معاملته لها ، وفي رفته الزائدة معها ، وفي فهمه الشديد لكل آرائها وأفكارها ..

وما زالت تذكر تفاصيل حديثهما معاً ، حينما علم برفضها للوظيفة ..

إنه يبدو مندهشاً مستنكراً كالأخرين ، بل ظل يحمل نفس ابتسامته العذبة ، وهو يقول لها في هدوء :

***** ١١ *****

— الوظيفة لا تحقق طموحاتك .. أليس كذلك ؟

أومات برأسها إيجاباً ، فعاد بألها في اهتمام واضح :

— ماذا تريدن بالضبط يا (أميرة) ؟

شردت ببصرها حينذاك ، وهي تغمم في نشوة :

— القطاع الخاص .

ارتسمت الحيرة في ملامحه ، ونغم دون أن يفقد

إيقسامته الهادئة :

— ماذا تعنين ؟

لوحّت بكفها ، وهي تقول في انفعال :

— لن أصل إلى ما أطمع إليه إلا بالعمل في القطاع

الخاص ، حيث لا معيار للترقي إلا النجاح في العمل ..

حيث يمكنني أن أقفز درجات السلم الوظيفي في سرعة ،

دون أن أضطر للانتظار سنوات ، من أجل الحصول

على ترقية واحدة .

ضحك وهو يقول في حنان :

— هل تتصورين نفسك في منصب مدير عام مثلاً ؟

هتفت في صرامة :

— ولم لا ؟

ارتبك وهو يغمم في صوت خافت :

— سينترحك هذا من مسؤولياتك الأخرى ..

عقدت حاجبها ، وهي تقول في استنكار :

— أية مسؤوليات ؟

تضاعف ارتباكها ، وازداد صوته خفوتاً ، وهو

يغمم :

— أعني .. أعني زوجك ، وأولادك فيما بعد .

فهمت ما يرى إليه ، إلا أنها أشاحت عنه بوجهها

وهي تغمم في قسوة :

— لست أفكر في الزواج ، قبل أن أصل إلى

ما أطمع إليه .

هتفت في دهشة :

— مطلقاً ؟ !

أجابته في صرامة لا تحتمل النقاش :

— مطلقاً .

خيل إليها في تلك اللحظة أن لحة الحزن في عينيه قد

تضاعفت وتعاضمت ، وتحولت إلى محيط هائل متلاطم
الأمواج ، وأن فيضاً منها قد انتقل إلى قلبها ..

نعم .. إلى قلبها ..
لقد شعرت لحظتها بالأسف على ما تفوّت به ،
وبالندم على ما سببته له من حزن ..

ولكنها لم تتراجع ..
كان هدفها مازال يرسم أمام عينيها ، ويملاً كيائها
كله ، ويحجب عنها أية مشاعر أخرى ..
كان يضع على قلبها غلافاً جليدياً ، يمنع عنه
حرارة المشاعر والحب ..

وواصلت طريقها ، وهي تلقى عواطفها جانباً ..
وتقدمت بطلب وظيفة في عشرات الشركات
الخاصة ، ذات الأسماء التجارية الرنانة ، وجلست
تنتظر ، وهي تلهث من فرط انفعالها ولطفها ..
والتحقت بواحدة من كبرى شركات الاستثمار
في مصر ..

وتحققت الخطوة الأولى من حلمها ..

***** ١٤ *****

كان موقعها في الشركة لا يعدو كونه موظفة عادية في
قسم الحسابات ، ولكنها كانت تضع هدفها وطموحاتها
نصب عينيها منذ يومها الأول ، فأسدلت على وجهها
قناع الصرامة والجدية ، ودفعت بكل نفسها إلى العمل ..
العمل وحده ..

حتى ذلك المنظار الطبي الذي تضعه على عينيها لم
يكن ضرورياً ، ولكنه كان أحد مظاهر الصرامة التي
فرضتها على نفسها ، وأحاطت بها شخصيتها في العمل ،
حتى برز تفوقها ، وبات واضحاً في الشركة ، انتقلت
أخبار نشاطها ونجاحها إلى مجلس إدارة الشركة ، وبدأ
حلمها يتجسم ويتضح ..

وبعد سبعة أعوام من الترقى والنجاح ، حصلت
على منصب رئيس قسم المحاسبة في الشركة ، واكتسبت
مزيداً من الثقة والطموح ..

ولم تقابل (ماهر) طوال تلك الأعوام السبعة
سوى مرة واحدة ، بعد تخرجهما بعام واحد ، وكانت
هي تعمل في الشركة ، وهو مازال ينتظر خطاب التعيين ،

***** ١٥ *****

ويجاهد في الوقت ذاته لنيل درجة الدبلوم في علم إدارة الأعمال ..

يومها التقيا في حرارة ، وتبادلا حديثاً قصيراً ، ثم انصرف كل منهما إلى طريقه ، ولكنها لن تنس أبداً نظرة الحب العميقة ، التي تكونت في عينيه ، حينما وقعتا عليها ..

لن تنساها أبداً ..

ولا حتى لمسة أنامله لكفها ، وحرارتها ودفئها ..

لن تنس لحظة لقاءهما تلك أبداً ..

وفجأة انتزعها من ذكرياتها أزيز جهاز الاتصال الداخلي ، ففقدت حاجبها في غضب ، وصاحت عبر جهاز الاتصال في صرامة :

— ألم أطلب عدم مقاطعتي طوال نصف ساعة ؟

أجابها صوت سكرتيرتها في ارتباك :

— لقد مضت أربعون دقيقة .

أدهشها استغراقها مع ذكرياتها طوال هذا الوقت

فتنحنت لتسترد صرامتها ، وهي تقول :

***** ١٦ *****

— ماذا تريدن ؟

أجابتها سكرتيرتها في قلغم :

— هناك رجل يطلب مقابلتك و ...

قاطعتها في حزم :

— هل لديه موعد سابق ؟

— لا .. ولكنه يؤكد ضرورة مقابلتك .

— أهو أحد العملاء ؟

— لا .

— من هو إذن ؟

جاءت إجابة السكرتيرة لتبعث في جسدها قشعريرة

قوية ، وقلوب نهر ذكرياتها المتدفق ، حينما أجبته في

اهتمام :

— لست أدري .. كل ما يقوله هو أن اسمه

(ماهر عبد الله) .

***** ١٧ *****

تصلبت (أميرة) لحظة ، وقد أخذت المفاجأة
بمحارحها ، فسمرت أطرافها ، وحبت الكلمات في
حلقها ..

لم تتصور أبداً أن يعود لرؤيتها بعد كل هذه
السنوات ..

أن يتذكرها بعد طول فراق ..

وانطلق ذهنها يستعيد صورته في لحظة ، بوجهه
الوسيم المستطيل ، وشعره الناعم القصير ، الذي يصففه
في أناقة وعناية ، وعينه الدافقتين السوداوين ، وفه
الصغير ، وطابع الحسن الذي يتوسط ذقنه ..
وسرت في جسدها قشعريرة عجيبة ..

قشعريرة هي مزيج من اللهفة ، والدهشة ، والقلق ..
وتحولت قشعريرتها إلى رجفة ، حينما انقبت إلى
صوت سكرتيرتها ، وهي تردد في اهتمام وقلق :

- هل أسمح له بالدخول يا سيلقى ؟!

***** ١٨ *****

هتفت في لهفة :

- بالطبع .

ثم أسرعت ثلثتظ منظارها الطبي ، وتضعه على
عينها ، وهي تتطلع إلى باب حجرتها في ترقب ، حتى
رأته يفتحه ، ويعبره في هدوء ، وابسامته العذبة الهادئة
تزيّن شفثيه ، وتضيء وجهه ..

وارتجف جسدها ، وأعماقها تهتف في دهشة : كم

تغيّر ؟

لأنه ما زال وسيماً ، وإن بدا أكثر نحولا ، في
حين سرى بعض الشيب في فؤديه ، فزاد من وسامته
التي تضاعفت بحلته السوداء الأنيقة ، ورباط عتقه
الذي اختاره في عناية وذوق ..

هو أيضاً رآها مختلفة ، وهو يتطلع إلى وجهها
البيضاوى الجميل ، وعينيها الخضراوين ، اللتين تخفيا
خلف منظارها الطبي ، الذي لم يخف اتساعهما وجمالهما ،
وإلى شفثيه الرقيقتين ، وشعرها المعقوص خلف رأسها ،
لمنحها مظهراً يفوق عمرها بعشر سنوات على الأقل ..

***** ١٩ *****

وران عليهما صمت طويل ، وكلاهما يتأمل في وجه
الآخر في لفظة وحنان ، قبل أن يهمس هو ، وابتسامته
تزداد تألقاً :

— كيف حالك ؟

هتفت في حرارة ، وهي تنهض من خلف مكتبها ،
وتمد يدها لمصافحته :

— كيف حالك أنت ؟

تقدم منها في خطوتين واسعتين ، وتصافحا ..
لم تكن مجرد مصافحة عادية ، وإنما كانت بشاً
عاطفياً ، سرى من كف كل منهما إلى جسد الآخر ،
لينحكما رجفة لذيذة ، طال اشتياقهما لها ..
وتعانقت عيونهما ، وظلت أصابعهما متشابكة ،
والصمت يلفهما في حنان ، حتى شعرت (أميرة)
بالارتباك ، فجذبت أصابعها من كفه في رقة ،
وأشارت إلى المقعد المقابل لمكتبها ، وهي تقول في
صوت خافت :

— اجلس يا (ماهر) .. زيارتك تسعدني جداً ..

***** ٢٠ *****

ابتسم وهو يجلس في هدوء ، ثم دار ببصره في
أرجاء مكتبها الأنيق ، وقال :

— يبدو أنك قد حققت بعض طموحك يا (أميرة) .

أومأت برأسها إيجاباً ، وهي تقول :

— نعم .. أعتقد ذلك .

كانت تريد الاكتفاء بهذه العبارة المقتضبة ، إلا
أنها وجدت نفسها تستطرد في اهتمام ، وكأنه يهمها جداً
أن يعلم (ماهر) كل شيء عنها :

— إنني الآن رئيس قسم الحسابات هنا ، وأمتلك
سيارة صغيرة ، ولكنها جديدة ، وأقيم في شقة أنيقة
في حي (المهندسين) .

اتسعت ابتسامته في حنان ، وهو يقول :

— أنت تستحقين ما هو أكثر من ذلك يا (أميرة) .

عاد الصمت يغلفهما لحظات ، ثم سأله هي :

— وماذا عنك ؟ .. هل حصلت على الدبلوم ؟

أوماً برأسه ، وهو يقول في هدوء :

— نعم .. ولكنه لم يحقق ما كنت أطمح إليه .

***** ٢١ *****

سألته في مزيج من الدهشة والاهتمام :

كيف ؟

تَهْنِئ ، وهز كتفيه على نحو يوحي بالإجباط ،
قبل أن يقول :

— يبدو أنني كنت شديد المثالية ، حينما نصورت
أن الحصول على مؤهل دراسي أعلى ، سيتيح لي مزيداً
من فرص العمل ، حتى أنني لم أكد أحصل عليه حتى
تصورت نفسي أضع أول خطواتي على سلم النجاح .

وعاد يتهند في عمق ، فسألته بمزيد من الاهتمام :

— وماذا حدث بعد حصولك على الدبلوم .

ابتسم ابتسامة باهتة ، أعادت إلى عينيه لمحة الحزن ،
التي تذكرها جيداً ، وهو يستطرد في هدوء :

— لقد تبدت لي — حينذاك — حقيقة عجيبة من

حقائق مجتمعنا بعد الانفتاح .. فوجدت بأن التقييم العلمي
لم يعد يكفي للنجاح في هذه الأيام ، بل لقد تراجع
كثيراً أمام التقييم المادي والاجتماعي .

ثم تطلع إليها ، وهو يردف في هدوء :

***** ٢٢ *****

— ولقد استطعت أنت الحاقق بآخر فرصة للعمل

في شركات الاستثمار يا (أميرة) ، فحينما أتممت أنا
الحصول على الدبلوم ، بعد ذلك بعامين ، كانت
فرص العمل في القطاع الخاص قد تضاءلت كثيراً ،
وأصبح من العسير على شخص عديم الخبرة أن يحصل
على عمل فيها ، وهكذا وجدت نفسي حاملاً لدرجة
الدبلوم ، ومتعطلاً عن العمل .

تجلت نظرة أسف وإشفاق في عينها ، فأطلق
ضحكة قصيرة ، وهو يتابع :

— كانت الأمور شديدة التعقيد والصعوبة في العام
الأول ، بعد حصولي على الدبلوم ، فلم يكن لي مورد
للرزق ، وكانت عائلتي فقيرة كما تعلمين ، وكاد
اليأس يتناوبني تماماً ، حتى وصلني خطاب القوى
العامة .

قلبت شفتيها ، وهي تقول في استنكار :

— القوى العاملة ؟ !

هز كتفيه ، وهو يتسم قائلاً :

***** ٢٣ *****

- كانت الوظيفة الحكومية هي الأمل الوحيد - آنذاك - وكان عليّ أن أتثبت بها ، حتى يتأتى مورد رزق آخر ، وكان المرتب الذي أنقاضه يكاد يكفي ضروريات الحياة ، ولكنه كان يسعدني ؛ لأنه على الأقل يكفي لرفع عبء الإنفاق عليّ عن كاهل أسرتي ، ثم إن حياتي في أسرة فقيرة جعلتني أحسن إنفاق دخلي ، حتى أنني نجحت في ادخار بعض المال لشراء قميص جديد ، وسروال أنيق ، لأضيفهما إلى ملابسي القديمة ، وسارت الأمور على هذا النحو لعام آخر ، وأنا أواصل السعي بحثاً عن موارد رزق أخرى ، حتى حصلت على عمل إضافي في متجر صغير ، كان دخله يصل إلى ضعف مرتبي ، وكنت أدخره كله ، وأبذل جهداً مضاعفاً للعمل ، والأسعار من حولي ترتفع في جنون ، إلى أن انتشعت الغمة فجأة .

تنهّد وهو يشرد ببصره ، وكأنما يستعيد تلك الذكريات ، ثم عادت ابتسامته إلى شفثه ، وهو يستطرد :

- وحصلت على عقد للعمل في المملكة العربية السعودية ، وتقدمت بطلب لإجازة من عملي ، ولكنهم رفضوا ، فلم يكن أمامي إلا الاستقالة من عملي الحكومي والسفر إلى (السعودية) ، وهناك تسلمت عملي الجديد ، وأغرقت نفسي فيه ، فراراً من ذلك الشعور الرهيب بالوحدة ، الذي يتغلب المرء هناك ، طالما هو عزّيب ، وبلا أصدقاء ، وبمرور الوقت كوّنت عدة صداقات هناك ، بين المصريين ، وبعض السعوديين ، إلا أن الشعور بالغربة لم يفارقني قط ، على الرغم من نجاحي في العمل ، وقضاء عاف مرتبي ودخلي ، بعد ثلاث سنوات ونصف السنة من العمل هناك ، وذات يوم ، وعلى الرغم من كل هذا ، قررت العودة إلى مصر بصفة نهائية .

وقلب كفه ، وهو يردف باهتسامة عذبة :

- لم أدر لحظتها لماذا قررت ذلك ، بكل هذا الحماس ، وعلى الرغم من محاولة الجميع إقناعي بالعدول والاستمرار في العمل هناك ، وأمام إصراري على

العودة رضى الجميع ، وأخبرنى مدير الشركة هناك أنه
مستعد لإعادتي للعمل وقتنا يحلولى ، وشكرت له ذلك ،
ثم أسرع أركب أول طائرة ، وأعود إلى مصر فى
لحظة عجيبة .

وضحك قبل أن يتابع :

— وعلى أرض مصر ، استيقظت فى صدرى عدة
أسئلة ، لم أنتبه إليها وسط حماسى للعودة .. صحيح أننى
عدت بمبلغ محترم ، يكفى لشراء شقة أنيقة ، وتأنيئها ،
والحصول على سيارة جديدة ، إلا أننى لا أملك عملاً ،
أو مورداً للرزق ، هى نفس المشكلة التى غادرت من
أجلها مصر فى البداية .

ابتسمت (أميرة) لضحكته الصافية ، ومدت
أصابعها دون وعى ، فزعت عن عينها ذلك المنظر
الطبي ، ووضعت على سطح مكتبها ، واكتسى وجهها
بجمرة الخجل ، حينما لاحظت تطلع (ماهر) إلى عينها
الخضراوين فى شغف ، وارتجفت حينما سمعته يقول
فى نشوة :

***** ٢٦ *****

— يا إلهى !! لم تخفنى هاتين العينين الساحرتين

خلف ذلك المنظر الطبي يا (أميرة) ؟

أسبلت جفنيها فى خجل ، وانتابها نشوة جارفة ،
وهى تشعر بكلماته تنسلل إلى أعماقها ، وثوقظ أنوثتها ،
التي حرصت على إخفائها خلف ذلك الحاجز الجليدى ،
منذ اختارت لنفسها ذلك الطريق الشاق ، وعغمفت فى
حياء ، دون أن تحاول إخفاء ابتسامة السعادة ، التى
تألفت فوق شفتيها الجميلتين :

— إننى أحتاج إليه للقراءة .

التقط منظرها الطبي فى هدوء ، ورفع عدساته إلى
عينيه ، ثم ابتسم وهو يعيده إلى سطح المكتب ، ويتمتع
فى هدوء :

— لا أظن ذلك .

ضحكت ، وهى تضمغم فى خجل :

— ولكننى أحتاج إليه .

وفى محاولة منها للفرار من خجلها ، عادت تسأله

فى اهتمام ، وإن ظل صوتها خافتاً :

***** ٢٧ *****

— ماذا فعلت بعد عودتك ؟ .. أعني بشأن العمل .
خيّل إليها أنه قد فهم محاولتها ، حينما اتسعت
ابتهامته ، وهو يجيب :

— لقد بحثت عن وظيفة في إحدى شركات
الاستثمار ، بعد أن أصبحت أحمل شهادات خبرة
مناسبة ، حتى وجدت وظيفة صغيرة في واحدة من
تلك الشركات ، بمرتب يكفي للحياة معقولة ، وفرصة
جيدة للترقي مع النجاح في العمل .

عقدت حاجبيها ، وهي تسأله في اهتمام :

— أية شركة هذه ؟

ضحك وهو يقول :

— هنا .. لقد أصبحت موظفاً في قسم الحسابات ،
الذي ترأسينه يا (أميرة) .

امتقع وجهها واتسعت عيناها مع عبارته الأخيرة ،
وتضاربت في أعماقها أمواج الحسنى والخيرة والتوتر ..

إنه لم يأت خصيصاً من أجلها إذن ..

إنه لم يسع لرؤيتها بالذات ..

***** ٢٨ *****

وشعرت وكأن ذلك الستار الجليدي يعود ليفسد
على قلبها ومشاعرها ، وكأن إحباط العالم كله قد ملأ
جوارحها ونفسها ..

وفي حركة آلية ، التقطت منظارها الطبي ، ووضعت
على عينها ، وهي تقول في برود :

— في هذه الحالة الأمر يختلف يا أستاذ (ماهر) .

تطلع إليها في دهشة ، وهو ينغم :

— ماذا أصابك يا (أميرة) ؟ .. لقد كنا ..

قاطعت في صرامة وجيدة :

— إنني لا أمنح أى موظف في القسم أكثر من

عشر دقائق يا أستاذ (ماهر) ، وهذا ينطبق على الجميع
بلا استثناء .

هتف في دهشة :

— (أميرة) ؟ !

قاطعت في جيدة :

— خاطبني بقلب (رئيس القسم) ، أو (الأنسة

أميرة) ، فهكذا يخاطبني كل موظف هنا .

***** ٢٩ *****

دلقت (أميرة) إلى شقتها الأنيقة ، وأغلقت بابها خلفها في عنف ، ثم أضاءت الردهة ، ووقفت تنطلع إليها في شروء ، وكأنها تراها لأول مرة ، ثم نزع منظرها الطبي ، وألقته فوق أريكة الردهة في إهمال وحق ، وعادت تنطلع إلى المكان ، وكأنما ظنت أنها ستراه على نحو مختلف دون المنظار ، إلا أن الرؤية بدت لها مهتزة ، حينما اضرورت عينها بالدموع ، وانحدرت على وجنتها دمة ساخنة ، أسرعت تزيلها في حدة ، وهي تندفع إلى حجرة نومها ، وتلقى جسدها فوق الفراش ، دون أن تنضوع عنها ثوبها ، أو ترتدى منامتها . وأسرع دمة ساخنة أخرى تتبع الأولى ، ثم لم تلبث الدموع أن بللت وجه (أميرة) ، دون أن تحاول محوها هذه المرة ..

تركت للدموع العنان .. ربما لأول مرة في حياتها كلها ، وتركت نفسها تنتحب ، وهي تسترجع لقاءها مع (ماهر) ..

***** ٢١ *****

احتقن وجهه ، واتسعت عيناه في دهشة ، في حين أطرقت هي برأسها ، وتظاهرت بمراجعة بعض الأوراق ، وهي تقول في صرامة عنيفة :
- اذهب إلى مكتبك يا أستاذ (ماهر) ، فمن الخطأ أن يضيع أى موظف في الشركة وقته في حديث شخصي ، ومع رئيس قسم بالذات .
انطلق الغضب عنيفا في أعماق (ماهر) ، ونصب قامته في اعتداد ، وهو يقول في صرامة مماثلة :
- آسف يا رئيس القسم ، فعقد عملي مع الشركة يبدأ صباح الغد ، وليس اليوم .
ثم استدار في حدة ، واتجه إلى باب حجرتها في خطوات سريعة ، وفتحته ، ثم استدار إليها ، وقال في برود صارم :

- وسأذكر كل التعليقات .
ثم أغلق الباب خلفه في قوة ، وكأنما يُفلقه في وجه كل معرفتهما ومشاعرهما السابقة .

***** ٢٠ *****

لقد شعرت بسعادة غامرة ، وهي تتأمله بخطو إلى
مكتبها ، بعد كل سنوات الفراق ، وشعرت بقلبها
ينفخ حيّاً بين ضلوعها ، بعد أن تصوّرت أنه لن يعود
للحياة أبداً ، منذ غلقته بذلك الغلاف الجليديّ البارد ،
وذاب الجليد كله حينما تصافحا ، ومستأنامه أناملها
وتصوّرت أنه جاء يخطف ودّها ، بعد أن استقر به
الحال ، وبلغت هي بعض أحلامها وطموحاتها ...

ثم فوجئت به يعلن أنه يعمل موظفاً لديها ..
لقد حطم هذا سعادتها ، وأوقف خفقات قلبها ،
وأعاد الغلاف الجليديّ إلى قلبها أكثر سمكاً من ذي قبل ..
ولكن لماذا ؟ ..

لماذا شعرت بكل هذا ؟ ..

الأنه صدم مشاعرها ؟ ..

عادت تسترجع كلماته ، وحنان نظراته ، ودفع
لمساته ، وشعرت أنها أخطأت ..
لماذا تصوّرت أن عمله تحت رياستها ، يقيم بينهما
حاجزاً ؟ ..

*** ٢٢ ***

لماذا تصوّرت أنه لم يعد يحبها كذي قبل ؟
لقد كان حبه واضحاً في كل لحظة من لحاته ..
في كل نظرة ..
في كل لمسة ..

فلماذا واجهته بكل هذه القسوة والصرامة ؟ ..
نهضت لتجلس على طرف فراشها ، وهي تلوم
نفسها على ما فعلته ، وقد بدا لها تصرفها معه شديد
التعنت والعنف ..

لقد اعتادت التعامل مع الجميع في صرامة ، حتى
أنها فعلت ذلك مع الرجل الوحيد ، الذي خفق له
قلبها ..

توقفت أفكارها عند هذه النقطة ، وعادت
تساءل ..

هل تحب (ماهر) حقاً ؟ ..

ولأول مرة في حياتها ، اعترف قلبها بالحقيقة ..

إنها تحب (ماهر) ..

تحبه منذ كانا زميلين في كلية التجارة ، ولكن

*** ٢٣ ***

(٢ - ذاب الجليد - زهور)

طموحها الشديد كان يحقق عنها هذه الحقيقة ، ويغلفها
بذلك الغلاف الجليدي السيك ..

لقد كان طموحها يقهر مشاعرها ، ويخفيها ،
خوفاً من أن تقهره هي ، ولكن ما من شك في أنها
تحب (ماهر) ، فلقد رفضت الزواج من عشرات
ممن تقدموا لطلب يدها ، لأنها كانت تقارن كلهم
بـ (ماهر) ، وفي كل مرة كان (ماهر) ينتصر ،
فترفض هي الزواج ، وكأنها تنتظره ..

ست سنوات ، وهو يحيا في عقلها ، وفي قلبها ..
ست سنوات ، وهي تتبنى رؤيته ، وتكتم هذه
الأمنية في أعماقها ..

وها هو ذا قد عاد ..

عاد لتحطم هي أحلام ست سنوات ، في موجة
غضب وعناد ..

وازداد انهمار الدموع من عينيها ، وهي تعض
شفتها السفلى في قهر وندم ، ثم نهضت في بطة ، ووقفت
تنتطح إلى وجهها في مرآة حجرة نومها ، وبدت لها

***** ٣٤ *****

ملاحظتها كثيفة ، صارمة ، على الرغم من الدموع التي
تبلى وجهها ، فدت أناملها تجفف دموعها ، ثم رفعت
مشبك شعرها ، وتركته ينسدل كثر حريري أسود
على كتفيها ، وخيل إليها أن هذا التبديل الصغير قد أعاد
إلى وجهها جماله وتألّفه ، وأعاد عمرها إلى أوائل
العشرينات .. إلى آخر لقاء لها مع (ماهر) ..

وتساءلت في حزن : ترى ماذا يفعل الآن ؟ ..
وماذا يظن بها ؟ ..

ولو قدر لعقلها أن يتجاوز حاجز الزمان والمكان
ويغوص في عقل (ماهر) وقلبه ، لتضاعف حزنها ،
وتزايد شعورها بالألم والندم ..

لقد فوجئ (ماهر) ، حينما علم أن (أميرة) هي
رئيسة القسم الذي سيعمل فيه ، ولكن هذه المفاجأة لم
تفجّر في أعماقه إلا مشاعر الفرح والبهجة ، وأسرع إلى
مكتبها ليقابلها ، ويطلق نيران شوقه إليها ..

هو أيضاً لم ينسها لحظة واحدة طوال هذه السنوات
السّت ..

***** ٣٥ *****

لقد كانت (أميرة) دوماً حلماً يتلهف إليه ،
ويراود خياله بلا كلل أو ملل ..

لقد عرفها في الكلية كزميلة وصديقة ، ثم تطوّر
إحساسه بها ، وإعجابه برصاتها وتهذيبها ، إلى حب
جارف ، ملك مشاعره كلها ، حتى غرق فيه تماماً ،
وكاد يصارحها بحبه أكثر من مرة ، إلا أن إحساسه
بفقره ، وعدم قدرته على الزواج ، منعه ، وجعله
يتراجع في كل مرة ، وهو يدعو الله أن تشعر هي بحبه
دون الحاجة إلى كلمات ..

ويوم رفضت وظيفة هيئة التدريس أراد أن
يصارحها بمشاعره ، ولكنها صدمته حينما قالت إنها
لا تفكر في الزواج ، قبل أن تحقق ما تصبو إليه ،
وتركته حزيناً بائساً ، يحاول جاهداً الإفلات من صين
الفقر ، حتى يمكنه مصارحتها بحبه ..
وأخيراً تحقق له نصف الحلم ..

فرّ من قضبان الفقر ، وأصبح مستعداً للزواج ،
واشترى تلك الشقة الأنيقة وهو يحلم بأن تكون عش

زواجهما ، واكتفى بتأثيثها بسرير صغير ، وصوان
للملابس ، ومائدة للطعام ، وبعض الضروريات ،
وكانه ينتظر حتى تختار هي أثاث الزوجية بدوقها
الخاص ..

وبات يحلم بها ، وقرر ألا يبحث عنها قبل أن يجد
وظيفة مناسبة ، وهو يحارب في كل لحظة ذلك الخوف
الذي داهمه ، من أن يجدها زوجة وأمّاً ..

وعثر على الوظيفة ، وعثر عليها في لحظة واحدة .
وكانت سعادته لا توصف ، حينما علم أنها لم تزوج
بعد ، وهرع إليها وهو يمسي نفسه برؤيتها ، ومصارحتها
بحبه ، وطلب الزواج منها ..

وكان لقاؤهما يوحى بالبهجة والأمل ، وهي تستقبله
في لهفة لا تقل عن لهفته لرؤياها ، وبسعادة أنعشت
الأمل في قلبه ، وجلس يقص عليها ما حدث له منذ
آخر لقاء لها ، وهو ينوي ختام قصته بطلب الزواج
منها ..

ولكنها صدمته ..

مرّفته ..

حطمت أحلامه ، وآماله ، ومشاعره في قسوة

شديدة ..

لم يصدق أن هذه الفتاة الصارمة القاسية ، هي نفسها (أميرة) ، التي أحبّها رقتها ونعومتها من قبل .. وعاد إلى شفته ، وأثائها البسيط ، وهو يحمل في أعماقه مزيجاً عجيباً متناقضاً من اليأس والغضب والصلابة والضعف ..

وفكر طويلاً في أن يترك تلك الوظيفة ، ويترك الشركة كلها ، بل فكر جديداً في العودة إلى عمله في (السعودية) ، إلا أن عناده أبى عليه أن يستسلم ويتراجع بعد أن حصل على الوظيفة المناسبة ..

صحیح أنه يحب (أميرة) ، وما زال يحبها على الرغم مما فعلته معه ، وأنه لن يحتمل أسلوبها الجاف في التعامل معه ، وهي ترأس القسم الذي يعمل فيه ، إلا أنه لن يتنازل عن البقاء إلى جوارها ، ورؤيتها في كل يوم .. مازالت رؤيتها تبهج قلبه ، على الرغم من كل شيء .

***** ٢٨ *****

وهذا هو الحب الحقيقي ..

الحب الذي يتجاوز كل الحواجز والعقبات ..

الحب الذي يتخطى كل المشاعر الأخرى ، ويقهرها

إلى جواره ..

إن قلبه مازال يحمل دفء الحياة والحب ، لم يغلقه

جليد قاس كقلب (أميرة) ..

جليد زائف يحمل اسم الطموح ..

ولم يستمر صراع قلبه طويلاً ..

وقرر أن يبقى .. وأن ينجح ..



***** ٢٩ *****

بدأ (ماهر) أول أيام عمله في الشركة ، واحتل مكتباً ضمن أربعة مكاتب ، في حجرة أنيقة من حجرات الطابق الثالث ، حيث قسم المحاسبة ، واستقبله زملاؤه الثلاثة في حرارة وترحاب ، أزالا ذلك القلق الذي انتابه ، حينما دلف إلى مبنى الشركة في الصباح .. كانوا رجلين وفتاة في الخامسة والعشرين ، ولقد استقبله الرجلان بابتسامة هادئة ، وتمنى له أكبرهما (حسام) أن يجد الراحة في عمله ، في حين ضحك الثاني (أيمن) في مرح ، وهو يحذره من صرامة (أميرة) رئيسة القسم ، أما الفتاة (كوثر) فقد بدت شديدة الرقة ، وهي تبسم في وجهه ، وترحب به في الحجرة ، بل إنها أسرعت تزيل الغبار عن سطح مكتبه ، وهي تدعوه لاحتلاله .. وسرعان ما ربطت الألفة بينهم بعد ساعة واحدة ، فأخذوا يتبادلون الحديث كما لو كانوا أصدقاء قدامى ، وانتهر (ماهر) الفرصة ليسأل (أيمن) في اهتمام :

- هل الآنسة (أميرة) صارمة إلى هذا الحد ؟
ضحكت (أيمن) ، وهو يقول :
- بل هي الصرامة نفسها ، ويخيل إلى أحياناً أنه يتقصها شارب كث ، لتصبح مديراً للشركة .
ضحكت (كوثر) في خجل ، في حين أسرع (حسام) يقول :
- ولكنها مخلصه ونشيطة ، والجميع يؤكدون أنها تستحق منصبها عن جدارة .
تغمضت (كوثر) ، وهي تختلس النظر إلى ملامح (ماهر) الوسيعة ، وأصابه الخالية من خاتم الزواج .
- إنها جميلة ، ولكنها تهمل ارتداء ثيابها ، والعناية بمظهرها .
ابتسم (ماهر) ، وهو يقول في هيام :
- رئاسة القسم لا تحتاج إلى الجمال .
فأجابه صوت صارم يقول في جدوة :
- هذا صحيح .
شعب وجه (كوثر) ، وهي تنكش في مقعدها

وارتبك (أيمن) وهو يجذب بعض الأوراق أمامه ،
في محاولة للتظاهر بأنهما في مراجعة ، في حين هب
(حسام) واقفاً في احترام ، وأدار (ماهر) عينيه في
هلوء إلى حيث تقف (أميرة) ، التي استطردت في
حزم :

— وقت الشركة لا يكفي لتبادل الأحاديث الشخصية
أيها السادة .

أجابها (ماهر) في برود ، يحمل رنة التحذير :
— كان لابد من تعارفنا في أول أيام عمل هنا .
ضابقتها لهجته ، وقد جاءت تخصيصاً لرؤيته ،
فأشاحت عنه بوجهها ، وأفرغت غضبها في وجه
(كوثر) ، وهي تهتف في جدّة :

— هل أنهيت التقرير الذي طلبته منك يا آنسة
(كوثر) ؟
تلعثمت (كوثر) وهي تقول ، ممسكة بالتقرير
المطلوب :

— سأنبهه بعد لحظات يا سيدي .

صاحت (أميرة) في غضب :

— أما كان ينبغي أن نحاول إنهاءه ، بدلاً من
إضاعة الوقت في حديث نافه ؟
ازداد شحوب وجه (كوثر) ، وارتجفت صوتها ،
وهي تغتمغ :

— إنه يحتاج إلى بعض الحسابات التي لن
تستغرق سوى ..

قاطعتها (أميرة) ، وهي تلوح بذراعها في غضب :
— أريده على مكثي بعد خمس دقائق و ...
وفجأة بقرت (أميرة) عبارتها في دهشة ، فقد
نهض (ماهر) في حركة حادة ، والتقط التقرير من يد
(كوثر) ، وعاد به إلى مكتبه ، وأخرج قلمه لينسى
الحسابات المطلوبة ، وساد حمت مشوب بالدهشة
والتوتر داخل الحجر ، قبل أن تهتف (أميرة) في
خفوت :

— ماذا تفعل ؟

أجابها في برود ، ودون أن يرفع عينيه عن التقرير :

- سيكون على مكتبك بعد خمس دقائق ، كما طلبت يا سيدتى .
 ظلت (أميرة) تحدق في وجهه لحظة ، ثم استدارت وغادرت الحجرة ، دون أن تتفوه بكلمة واحدة ، وإن بدا غضبها واضحا في خطواتها العصبية السريعة ، وظل الصمت الثقيل يخيم على الحجرة لحظات بعد انصرافها ، والجميع يحدقون في وجه (ماهر) ، وقلمه الذى يجرى على الأوراق في هدوء ، ثم نعمتم (أيمن) في خفوت :

- كيف فعلت ذلك ؟

أجابه (ماهر) في هدوء :

- فعلت ماذا ؟

تبادل الثلاثة نظرات الدهشة ، ثم نعمتم (كوثر) في رقة وامتنان :

- هل فعلت ذلك من أجلى ؟

ابتسم (ماهر) في هدوء ، ثم قال وهو يعيد قلمه إلى سترته :

- لقد انتهى التقرير على أية حال .
 لم يكذب يتم عبارته حتى جاء عامل القسم ، وقال لـ (ماهر) في بساطة :

- السيدة رئيسة القسم تطلبك يا أستاذ (ماهر) .

تبادل (حسام) و (أيمن) و (كوثر) نظرات القلق ، في حين نهض (ماهر) في هدوء ، وهو يقول :

- سأذهب إليها على الفور .

ولم يكذب يغادر المكتب حتى التفتت (كوثر) إلى (أيمن) ، ونعمتم في قلق :

- لماذا تريده في ظنك ؟

هز كتفيه ، وهو يغمغم في قلق مماثل :

- لست أدري ، ولكنها غادرت القسم في غضب واضح .

وانحنى (حسام) على أوراقه ، وهو يقول في أسف :

- يبدو أن عقد الأستاذ (ماهر) لن يستمر هنا طويلا ..

وهذا بالضبط ما كان يتوقعه (ماهر) ، حينما
ذهب إلى مكتب (أميرة) ، ولقد أعطته سكرتيرتها
الانطباع نفسه وهي تتطلع إليه في قلق ، حينما عبر
الباب الفاصل بين حجرتها وحجرة (أميرة) ، في حين
احتفظ هو بهدوئه ، وهو يخطو إلى حجرة (أميرة)
لثاني مرة في يومين متتاليين ..

كان ينوى مواجهتها في برود وصرامة ، إلا أن
رؤيته لها وهي تتطلع إليه في حزن ، سحا من نفسه كل
صرامتها وبرودها ، وجعل قلبه يخفق بخبها ، الذي لم
يغب عنه أبداً ، فاقرب من مكتبها في بطء وعيناه
تعاقدان عينيها الحزبتين ، ثم دفع التقرير أمامها ، وهو
يغمغم في صوت خافت :

— ها هو ذا التقرير .
أزاحت التقرير جانباً ، وهي تسأله في حزن :

— لم فعلت ذلك يا (ماهر) ؟
شعر بالحزن يقطر مريراً من كل حرف من حروف
كلماتها ، فأطرق برأسه ، وهو يغمغم في ألم :

— لست أدرى .. أسلوبك الصارم دفعني لذلك .
ترقرقت الدموع في عينيها ، وهي تقول :

— أسلوبى ١٢ ، لاني أدير قسماً كاملاً يا (ماهر)
وهذا هو الأسلوب الوحيد الذي يصلح لذلك .
آلمته دموعها ، فأطرق برأسه ، وهو يغمغم في ندم :

— هل يمكنى أن أعتذر ؟
تهددت ، وهي تتمتم :

— لست أطلب اعتذاراً يا (ماهر) ، أريد منك
أن تفهمنى .
احتواها بعينيها الدافقتين ، وهو يقول في همس

جنون :

— ساعدنى على فهمك يا (أميرة) .
خلعت منظارها الطبي ، لتسمح لدموعها بالانحدار
على وجنتيها ، وهي تسأله في حزن :

— هل أبدو لك غامضة إلى هذا الحد ؟
شعر بدموعها كسياط من لبيب ، تهوى على قلبه
في قسوة ، فغمغم في ألم :

— بل متناقضة .

مالت نحوه ، وهي تستمع في صوت أقرب إلى
الضراعة :

— كيف ؟

أجابها في صوت خافت حنون :

— إنك تبدين لي أحياناً مثلاً للرقعة ، وأحياناً
أخرى رمزاً للصرامة والقسوة .

أطرفت برأسها ، وهي تغغم في ألم :

— ستفهم سر هذا التناقض يوماً ما .

تطلع إلى وجهها يلتهمه بعينه في شغف ، وهو
يشعر بنبضة جديدة تدسل إلى نبضات قلبه ، وقد خيل
إليه أنه يفهم مغزى عبارتها ، وراودته رغبة جارفة في
أن يلتقط يدها الرقيقة في راحته ، ويشبعها تقبيلًا ،
واعتراه الارتباك إزاء هذه الرغبة ، فأشاح بوجهه ،
وهو يغغم :

— ثم إن أسلوبك في معاملة الموظفين هنا ..

***** ٤٨ *****

مست عبارة جرحاً في أعماقها ، وأطلق عنادها
فجأة ، فصاحت في حدة :
— أنا لا أسمع لك بتقييم أسلوب معاملتى لموظفى
قسمى .

تحولت مشاعره كلها إلى غضب عنيف ، أمام
هذا التحول المفاجئ في أسلوب حديثها ، فعمد حاجبيه
وهو يهتف :

— وأنا لا أسمع لك بمخاطبتى بهذا الأسلوب .

اختطفت منظارها الطبي في حدة ، ووضعت فوق
عينها ، وكأنما تستعيد به صرامتها وحزمها ، وهي
تقول في عصبية :

— سأخاطبك بالأسلوب الذى أخاطب به الجميع .

هب من مقعده ، وهو يقول في صرامة :

— رياستك للقسم الذى أعمل فيه ، تسمح لك
بمعايبتى إذا ما أخطأت ، ولكنه لا يمنحك أدنى حق
في مخاطبتى بأسلوب أرفضه .

***** ٤٩ *****

ضربت سطح مكتبها بقبضتها ، وهي تصرخ في غضب وعناد :

— ليس من حقك الحصول على امتياز خاص هنا. لوّح بلراءه في وجهها بغضب ، وهو يقول :

— إنه ليس امتيازاً .. إنه أسلوب تعامل المتحضرين. صاحبت في حنق :

— إنه أسلوبى ، وإذا كنت ترفضه يمكنك البحث عن وظيفة أخرى ، أو ...

بقرت عبارتها بغتة ، وشحب وجهها حينما نهبت إلى خطأ عبارتها ، وإلى ثورتها المفاجئة ، التي زادت من ثبأعهما ، بدلا من أن يتقاربا كما كانت تمنى ، وازداد شحوبها وهي تتطلع في جزع إلى احتقان وجهه الغاضب ، وكادت تنهار على مقعدها ، حينما أجابها في برود صارم :

— كلاً يا (أميرة) .. أقصديا أنسة (أميرة) .. إننى لن أترك هذه الوظيفة أبداً ..

ثم اندفع خارج مكتبها ، وأغلق باب خلفه في

***** ٥٠ *****

عنف ، في حين تسمّرت هي في مزيج من الألم والذهول ، وتركزت دموعها تنحدر على وجهها باردة كالثلج ، قبل أن تنهار على مقعدها ، وتدفن وجهها بين كفيها ، وهي تنغم في نحيب :

— لقد أفسدت كل شيء .. أفسدت كل شيء ..

...



***** ٥١ *****

عاد (ماهر) إلى مكتبه ، والغضب يرتسم في كل خلجة من خلجاته ، وتابعه رفاق حجرته بأبصارهم في قلق وتوتر ، حتى استقر خلف مكتبه ، فقط (حسام) شفتيه ، ودفن عينيه في الأوراق المكدسة أمامه ، وهو يغمغم في صوت خافت :

- كنت أتوقع ذلك .

أما (أيمن) فقد شعر بعبزه عن نطق كلمة واحدة ، فاكثف بهز رأسه في أسف ، ثم عاد يتشاغل في أعمال وهمية ، في حين نهضت (كوثر) من خلف مكتبها ، وارتسمت في عينيها نظرة حانية ، وهي تتجه إلى حيث يجلس (ماهر) ، وانحنى نحوه ، وهي تهمس في عطف :

- أنا آسفة .

تطلع إليها (ماهر) في شرود ، وهو يغمغم :

- لم ؟

أجابته في حنان :

- لقد حدث كل ذلك من أجل .

لولا ذلك الشعور العميق بالإحباط ، الذي يملأ جوارحه ، لدفعته عبارة (كوثر) إلى الضحك في مرح ، ولأنخبرها في صراحة أنها ليست السبب فيما حدث ، ولكن تلك الغصة التي يشعر بها في حلقه ، منعتة من التفوه بحرف واحد ، فاكثف بإبتسامة باهتة وهو يرتب على كفها في هدوء ...

ولم يدر لحظتها ما فعلته لمساته الرقيقة في نفسها ..

في أعماقها ..

في كيائها كله ..

لقد سررت في جسدها ارتجافة قوية دافئة ، بدأت من سطح كفها ، حيث تمسه أناملها ، وتدفقت عبر عروقها لتبعث في أعماقها نشوة جارفة ، قبل أن تستقر في قلبها ، فيخفق في قوة وسعادة ، وترتفع خلجاته إلى وجهها ، فتكتسى بشرته التمحيية بحمرة الخجل واللهفة . وخيّل إليها أن نظراته الشاردة تحمل كل اللهفة والحب ، فاختلست النظر لتؤكد أن (حسام) و(أيمن)

لا ينظران إليها ، ثم ربّعت بدورها على كفه في حنان
وحب ، بأصابع مرتعدة باردة ، وأسرعث عائدة إلى
مكتبها ، وهي تلهث من فرط سعادتها ولطفها ..
وظلت ترتجف طوال الساعات الباقية من اليوم ،
وهي تغرق في أحلام رومانسية شاعرية رقيقة ..
تصوّرت نفسها في ثوب الزفاف الأبيض ، و(ماهر)
يجلس إلى جوارها بوسامته ، وأناقته ، وابتهامته الجذابة
الساحرة ..

وارتسمت هذه الصورة أمام عينيها ، حتى أنها لم
تعد ترى سواها طيلة الوقت ..
أما (ماهر) فقد غرق في لجة من الأفكار والخيّرة .
كان يتساءل في دهشة : عن سر تلك التحوّلات
العجيبة في شخصية (أميرة) ..

لأنها تبدو له أحياناً أرق من النسمة ، حتى ليكاد
يهتف لها بحبه ، ثم لا تلبث أن تتحول فجأة إلى صخر
قاس عنيف ، يؤلمه ويذم قلبه ..
وحاول جاهداً أن يجد تفسيراً مناسباً ، وأعمل

عقله طويلاً حتى كاد يشعر بنيران حامية تتأجج في
مخه ، وتسيل حممها الملتبة في قلبه وأعماقه ..
وطال شروده وتفكيره ، حتى شعر بلمسة حانية
على كفه ، فارتجف وهو يتطلع إلى وجه (كوثر) في
شروود ، ورأى ابتسامتها الرقيقة : وهي تغغم :
- لقد حان وقت الانصراف .

تلفت حوله في دهشة ، وهو يقول :
- أحقاً !! .. وأين (حسام) و (أيمن) ؟
صحكت (كوثر) في رقة ، وهي تقول :
- لقد انصرفا منذ لحظات ، ولقد ألقيا عليك
التحية ، ولكنك لم تنبه إليهما .

غمغم في خجل :
- يا إلهي !! .. لا بد أنني كنت خفيفاً .

هتفت في حرارة :
- لا تقل ذلك ..

ثم استطردت في همس :
- أنت إنسان ممتاز .

ابتسم في هدوء ، وهو يقول :

ليس إلى هذا الحد .

سارت إلى جواره في خطوات سريعة ، وهو يقادر

المكتب ، وهي تقول في مرح :

يبدو أنك لا تشعر بحقيقة نفسك .

ضحك وهو يقول :

نعم .. يبدو ذلك .

رافقت (كوثر) - دون أن يدعوها إلى ذلك -

حتى سيارته الصغيرة ، وهي تتحدث طوال الوقت في

مرح وحماس ، وهو شارد الذهن ، يفكر فيما حدث

بينه وبين (أميرة) ، ويحاول إيجاد تفسير منطقي له ،

حتى وجد نفسه أمام سيارته ، وسمع (كوثر) تسأله

في اهتمام :

ما هو طريقك ؟

دفع ابتسامة باهتة إلى شفثيه ، وهو يغمغم :

- لئنني أقيم في (الدق) .

تهللت أساريرها ، وهي تهتف في مرح :

- يا لها من مصادفة جميلة !! أنا أيضاً أقيم هناك ..

وقبل أن ينطق بكلمة إضافية ، كانت قد احتلت

المقعد المجاور له في السيارة ، وهي تقول في مرح :

- سأسمح لك بإيصالي إلى المنزل .

كان مرحها لطيفاً ، رقيقاً ، حتى أنه أطلق ضحكة

صافية . وهو ينحني في أداء مسرحي ، ويقول في

مبالغة مرحة :

- على الرحب والسعة يا أميري .

لقد شعر في هذه اللحظة أنه يحتاج إلى مرحها ورقتها.

إلى حنانها ..

إلى رفيق ينزعه من بحر أحزانه ..

وانطلق بالسيارة ، وهو يبتسم ابتسامة واسعة ،

وكأنما يحاول أن يمحو بها حبيسة قلبه مع (أميرة) ..

(أميرة) التي شعرت بخنجر ملتهب بغوص في

أعماق قلبها ، حينما رآته ينطلق بالسيارة ، و (كوثر)

تجلس إلى جواره ، فأدارت محرك سيارتها الصغيرة في

***** ٥٧ *****

عصبية ، وانطلقت بها في حدة واضحة ، وقد امتلأ قلبها بمزيج من الحنق والغضب والثورة ..

كانت طبيعتها الأنثوية ترفض البحث عن أى تفسير هادئ ، لمصاحبتها (كوثر) في أثناء انصرافه ، ولم تمنحها نفسها الثائرة إلا تفسيراً واحداً ..

إنه يحاول إغاضتها ..

ولكن لماذا ؟ ..

لو أن علاقتهما لا تعدو علاقة موظف برئيسه في العمل ، أو حتى علاقة زميلين قديمين ما حاول ذلك ، وما تعتمد إغاضتها بالتوؤد إلى فتاة أخرى على مرأى منها ..

إنه لن يفعل ذلك إلا إذا كان قلبه ما زال يحمل إليها بعض الحب ..

ابتهجت لحظة حينما راودها ذلك الخاطر ، ثم لم تلبث أن عقدت حاجبها ، وهي تسترجع الأمور على نحو آخر ، ويتبين لها أنها صاحبة الافتراض الأول ، بأنه يحاول العبث بمشاعرها ، وأنها قد شئدت كل

***** ٥٨ *****

النتائج الأخرى على هذا الأساس ، الذى لم تثبت من صحته بعد ..

وعاد عقلها يبحث عن تفسير ثان ..

لم لا تكون (كوثر) قد جذبت بالفعل ، برقتها وأتوثها ، بعد أن لمس منها هى تلك الصرامة ، وذلك الخزم ؟

أو قد تكون وسامته ، وجاذبيته ، ورجولته هى التى جذبت (كوثر) إليه ؟

أو أنهما مجرد زميلين ، توافق موقع سكنيهما فى حى واحد ؟ أو ..

أيقظتها أبواق السيارات الساخطة من لجة أفكارها ، فى ذلك الشارع المزدحم فى قلب العاصمة ، فعقدت حاجبها فى حنق ، وكادت تصرخ فى وجوه قائدى السيارات حولها فى صرامة ، وكأنهم بعض موظفى قسمها ، لولا أن تثبت إلى موقعها ، وإلى أنها تعوق حركة السير بعد أن تألق الضوء الأخضر فى إشارة

***** ٥٩ *****

استقبلت الأم ابنتها في لفحة وحنان وفرح ، وضمتها إلى صدرها ، وهي تغمر وجهها بقبلات دافئة حانية ، وهي تهتف في سعادة :

- كم أوحشتني يا بنيتي .. كيف لم أرك منذ شهر كامل ؟ .. إننا نتحرق شوقاً لرؤيتك .

استكانت (أميرة) بين ذراعي أمها الحانيتين ، وهي تغمغم في خفوت :

- وأنا أيضاً يا أماه .. ولكنها مشكلات العمل . هفت أمها في استنكار ، وهي تضمها إلى صدرها في لفحة :

- أى عمل هذا يا بنيتي ؟ وماذا تركت للرجال ؟

نغممت (أميرة) في ضيق :

- أماه .. لقد ناقشنا هذا الأمر من قبل .

تهتت الأم ، وهي تغمغم :

- حسناً يا بنيتي .. حسناً .. لا ريب أن الأمور تختلف في جيلكم هذا .

المروور ، فأسرعت تنطلق بسيارتها في ارتباك ، وقد

انتابها شعور خائق بالضيق ..

وفجأة احتلت صورة أمها عقلها ..

أمها الحنون ، التي تحمل في أعماقها طيبة فطرية

محبة ..

وتنبهت فجأة أيضاً إلى أنها لم تذهب لزيارة أسرتها

منذ فترة طويلة ..

وقررت أن تنطلق إلى حيّ (الحسين) .. حيث تقم

أسرتها ..

كانت تشعر باحتياج شديد إلى أمها في هذه اللحظة .

كانت تحتاج إلى لمسة حنان ..



ثم تألق وجهها بابتسامة جمعت حنان الدنيا كلها ،
وهي تستطرد :

— في أيامنا كنا نترك العمل للرجال ، وننتفرغ
نحن لشئون المنزل ، ولقد كان هذا يستغرق وقتنا كله .
وأردفت في صوت خافت ، وهي ترمق ابتها
بنظرة حانية :

— وكان للزواج معنى كبير أيضاً .
ضايقتها تلميح أمها الواضح ، فأفلتت من بين
ذراعيها ، وتظاهرت بأنها لم تفهم ، وهي تقول :
— أين أبي ، و (صلاح) ، و (غادة) ؟
لوّحت الأم بكفها ، وهي تقول :

— أبوك لم يعد من العمل بعد ، فهو مازال يصّر
على العمل لوقت إضافي ، على الرغم من أنه سيحال إلى
المعاش بعد عامين ، و (صلاح) سيعود من كليته في
الخامسة ، أما (غادة) فقد خرجت مع خطيبها لشراء
بعض لوازم الزواج المقبل .
نظقت الأم عبارتها الأخيرة في صوت متهدّج ،

***** ٦٢ *****

وأسف واضح ، وكأنها تعلن حزنها على زواج ابتها
الصغرى قبل الكبرى ، فأشاحت (أميرة) بوجهها ،
وهي تقول في حشيق :
— ولماذا يصّر أبي على العمل الإضافي ؟ .. لقد
أخبرتكم أكثر من مرة أنني مستعدة لمعاونتكم بنفس
المبلغ الذي

قاطعتها أمها في حزم :
— حذار أن تكرر ذلك يا (أميرة) .. أنت
تعلمين كم يرفض والدك هذا .
لوّحت (أميرة) بذراعيها في حشيق ، وهي تقول :
— لماذا ؟ .. إنني ابنته ، وهو مازال موظفاً
صغيراً ، على الرغم من عمله لثمان و ثلاثين سنة في
الحكومة و ..

عادت الأم تقاطعها في جدّة :
— والدك رجل رائع يا (أميرة) ، ولقد فعل
من أجلكم أقصى ما يمكن أن يفعله رجل في مثل عمره
أو وظيفته .

***** ٦٣ *****

تضَرَّجَ وجهه (أميرة) بحمرة الحجل ، وهى تغتمخ
فى اعتذار :

— لم أقصد عكس ذلك أبداً يا أماء .
ابتسمت الأم وهى تضمها إلى صدرها مرة أخرى
وتقول فى حنان :

— صديقى يا (أميرة) .. لانتى أحب والدك ،
وأقدره منذ زواجنا ، وأحمل له فى أعماقى احتراماً كبيراً ،
صحيح أنه ليس ثرياً ، ولكنه خون شهم ، ولقد قضيت
عمرى معه فى أسعد حال ، وهو يكافح طيلة هذه
السنوات ليؤمن لأسرته العيش .

نغممت (أميرة) :

— ما من شك فى هذا يا أماء .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم هتفت الأم :
— ولكنك شاحبة الوجه يا (أميرة) .. ألا تتناولين

غذاء جيداً ؟

ضحكت (أميرة) وهى تقول :

***** ٦١ *****

— أنت تعلمين أنتى طاهية بارعة يا أماء ، ولكننى
لا أضار علك بالطبع .

تهللت أسنارىر الأم لزاء هذا الإطراء من ابنتها
الكبرى ، وهتفت فى حماس :

— سأعد لك طعاماً دسماً ، يعسد إلى وجهك
نضارته .

ابتسمت (أميرة) ، وأمها تهرع إلى المطبخ ، ثم
لم تلبث ابتسامتها أن تلاشت ، وهى تخلع منظارها
الطبي ، وتطلع إلى وجهها فى المراة القديمة فى ردة
المنزل ..

لقد كان وجهها شاحباً حقاً ، وتصفيفة شعرها
التقليدية تزيده شحوباً ..

حتى عيناها الجميلتان بدتا شاحبتين ، ذابلتين ،
وكانما انتزع منها موقفها مع (ماهر) دماء الحياة
والحيوية ..

وأعادتها ذكرى (ماهر) إلى السبب الحقيقى
لرغبتها فى زيارة أسرتها ..

***** ٦٥ *****

(ه - وذاب الجليد - زهور)

لقد كانت تحتاج إلى حنان أمها وحبها ، وإلى
أحضانها الدافئة الرحيمة ..

كم تمنّت لحظتها لو استطاعت أن تقيص الأمر كله
على أمها ، وهي تستكين بين ذراعيها ..

كم تمنّت أن تطلق الدموع العنان ، وهي تشرح
لها لواذع قلبها ..

لقد شعرت لحظتها أنها لم تعد (أميرة) .. رئيسة
قسم الحسابات الصارمة ..

لقد عادت تلك الأنثى الضعيفة ، التي تحتاج إلى
من يساندها ، ويضمها إلى صدره في حنان ..

شعرت أنها تحتاج إلى صدر (ماهر) ، لتريح فوقه
رأسها ، وإلى لمساته الحانية وحيه الجارف ..

ودّدت في هذه اللحظة لو أنها ذهبت إليه ، وألقت
بنفسها بين ذراعيه ، واعترفت له بحبها ، وطلبت منه

الصفح عن تعنتها في معاملته ..
وانترعتها من أفسكارها فجأة صبيحة ، تجمع بين

الدهشة والفرح ..

***** ٦٦ *****

صبيحة شقيقتها الصغرى (غادة) ، وهي تهتف :

- (أميرة) ١٩ .. يا لها من مفاجأة سارة ١١

احتضنت شقيقتها في سعادة ولهفة ، وتبادلتا قبلات
الفرح والشوق ، قبل أن تهتف هي :

- كيف حال العروس؟ .. أين خطيبك (ماجد) ؟

ارتفعت حمرة الخجل إلى وجه (غادة) ، وهي
تقول في مرح :

- لقد عاد إلى عمله ، فهو يعمل أيضاً فترة
إضافية ، للحصول على مزيد من الدخل .

رفعت (أميرة) حاجبيها ، وهي تقول في دهشة :

- ومتى تنتزهان إذن ؟

ضحكت (غادة) وهي تقول :

- إننا نختلس بعد الوقت بين مواعدي العمل ،
فهو يعمل حتى في أيام الجمع والإجازات .

هتفت (أميرة) في استنكار :

- أى نوع من الحياة هذا ؟

هزت (غادة) كتفيها ، وهي تقول في استسلام :

***** ٦٧ *****

— الزواج يحتاج إلى تكاليف باهظة في هذه الأيام
يا (أميرة) .

مطت (أميرة) شفتيها ، وهي تقول :
— هناك من يمكنهم تأمين كل هذه التكاليف ،
دون الحاجة إلى إرهاب أنفسهم إلى هذا الحد .
تطلعت إليها (غادة) لحظة ، ثم أجابت في هدوء :
— ولكن لا يمكنهم منحى نفس القدر من الحب ،
الذى يمنحه لى (ماجد) .

لوّحت (أميرة) بلباسها ، وهي تقول :
— الحب كلمة رومانسية ، لا يمكنها أن تقيم حياة
ناجحة .

— ولكنها تجعل كل أنواع الحياة محتملة .
— حتى الفقر !؟ .
— الفقر هو أن يحيا الإنسان في قالب مادي جامد
لا أن يفقر إلى المادة .

— ولكن المادة هي التى تأتى بكل شيء ، بالشفقة
والأثاث و...

***** ٦٨ *****

— والحب !؟

— قد لا تأتى بالحب ، ولكنها تأتى بالراحة ،
والأمثال القديمة تقول : « إذا دخل الفقر من الباب ،
قفز الحب من النافذة » .

— لو أنه حب حقيقى ، فسيصعدى للفقر ، ولن
يسمح له باحتلال وطنه ، وإجباره على مغادرته من
النافذة .

— إنه منطق رومانسى .

— بل منطق عملى بحث .

— أى منطق عملى هذا ؟

— منطق التاجر الذكى ، الذى يبحث عن صفقة
رابحة ، ويرفض التخلي عنها .

— صفقة رابحة !؟ .. هل تطلقين على الفقر
(صفقة رابحة) ؟

— بالطبع ، فالصفقة الرابحة هي الحصول على
شيء نادر ، قد لا يمكن الحصول عليه فيما بعد ، وحينها
أنظر إلى الزواج بنظرة التاجر الذكى ، أجد أنه يحتاج

***** ٦٩ *****

إلى الحب والتفاهم والمادة ، وأصعب هذه العوامل هو
الحب ، فهو إما أن يكون أو لا يكون ، ولو أننى
اخترت الحب ، لأمكننى من خلاله صنع التفاهم ،
والحصول على المادة ، أما لو اخترت المادة فلن يمكننى
أبداً صنع الحب والتفاهم من خلالها ، وهكذا اختار
الحب بلا تردد ، وأعتبره بالطبع صفقة رابحة .

لم تكرر (عادة) وهى تنطق هذه الكلمات فى هدوء
أنها إنما أصابت قلب شقيقتها فى الصميم ، وأصابت لها
خطأ حياتها فى وضوح مخيف ..

لقد تجاهلت الحب الواضح فى لهجة (ماهر)
وأسلوبه ، حينما تخرجنا من كلية التجارة ، لأنها كانت
تطمح إلى المادة والثراء ، وتناسته لسبع سنوات كاملة
حتى لا يعوقها ذلك عن الوصول إلى هدفها ..

وحتى حينما عاد ، بعد كل هذه السنوات ، تركت
ذلك الستار الجليدى ، الذى يفسد على قلبها يحول
بينهما ، وتركتم عنادها يقهر مشاعرها ، لأنها تطمح
فى مزيد من النجاح ، والثراء ، والراحة ..

***** ٧. *****

أى نجاح وأى ثراء ، وأية راحة ؟ ..
لقد خسرت الصفقة الراجعة ، كما تقول شقيقتها
الصغرى ، وربحت كل ما عدا ذلك ..

لقد خسرت حب (ماهر) وحنانه ، مقابل
طموحات لن تنتهى أبداً ، ولن تمنحها الاستقرار قط .
خسرت عمرها وحياتها ، وأنوثتها ..

ولكنها لن تواصل الخسارة ..

ستسعى خلف الصفقة الراجعة ..

ستسعى خلف الحب والحياة ..

وتطلعت (عادة) إلى وجه شقيقتها الشاحب فى

جزع ، وهى تهتف :

— (أميرة) ، إننى لم أقصد إغضابك . أقسم لك ..

وأدهشتها تلك الابتسامة الهادئة ، التى تألفت على

شفقى (أميرة) ، وتلك النماء الحارة ، التى تدفقت إلى

بشرتها ، فأعادت إليها ذلك اللون الوردى الجميل ،

وهى تحتضنها وتقبلها فى حرارة ، وتقول فى ارتياح :

— حديثك لم يغضبني يا (عادة) .. إنه على

***** ٧١ *****

العكس ، عاوننى على اتخاذ قرار أرهقنى التفكير فيه
طويلاً .

عادت (غادة) يحدّق في وجهها بدهشة ، قبل
أن تغتم في حيرة :

— قرار ١٩ .

قبلتها (أميرة) في سعادة جمة ، وهى تبسم ابتسامة
رائعة ، جعلت شقيقها تتساءل عن آخر مرة رأت فيها
مثلاً على شفتها ، وخيل إليها أن ذلك كان منذ زمن
طويل للغاية ، خاصة حينما سمعت صوت شقيقها ،
الممتلئ بخنان غامر ، ولطفة حميمة ، وهى تقول في هيام :
— نعم يا (غادة) .. إنه أعظم قرار في حياتي
كلها .



٧ — وعاد الجليد . .

لم تتوقف (كوثر) عن الحديث لحظة واحدة ،
و (ماهر) يصحبها في سيارته إلى حيث تقيم ، وكأنما
تتخذ من ذلك حجة لتأمل ملامحه الوسيمة المادئة ،
وهو يكتنى بابتسامة رقيقة بين حين وآخر ، ويفسح لها
المجال لمواصلة حديثها المرح ، المنعم بحماس عجيب ،
كما لو أنها تتحدث لأول مرة مع نجمها السينمائي المفضل
الذى ظلت تحلم بلقائه طيلة عمرها ..
ولقد كان الأمر كذلك بالفعل ..

كان (ماهر) يشبه تماماً تلك الصورة الجميلة ،
التي ظلت تراود أحلام (كوثر) ، منذ استنشقت عبير
الأنوثة ، وهامت في بحار الرومانسية ..

صورة فارس الأحلام الوسيم ، الأنيق ، المهذب ،
الذى صنعته خيالاتها ، وأحاطه بهالة مقدسة ، مع خطواتها
الأولى في عالم النضوج ..

ولقد شعرت بذلك حينما وقع بصرها عليه لأول
مرة ، ولعل هذا سر اهتمامها البالغ ، وترحابها الشديد

بمقدمه ، ولعله أيضاً سر لإسراعها في تنظيف مكتبه ،
وكانها تأتي أن يحثل فارس أحلامها مكتباً مهملًا ..

وحينما تصوّرت أنه يتحدث (أميرة) من أجلها ،
تضاعف ذلك الإحساس في أعماقها ، ووصل إلى ذروته
عندما منحها تلك الإبتسامة الشاردة ، ورّيت على كفها
في حنان ..

لقد تصوّرت بيادها الإعجاب ..

تصوّرت أنه وجد فيها فتاة أحلامه ، كما وجدت
فيه فارس أحلامها ..

وعلى عكس (أميرة) ، كان قلبها من ذلك النوع
الساخن ، الذي لا يحتاج لأكثر من لمسة حنان رقيقة ،
حتى يلتهب بنار الحب واللهفة ..

ويبدو أن هيب عواطفها ، ومشاعرها الرقيقة قد
نجح في التسلل إلى قلب (ماهر) ، الذي كان يعاني
الجليد البارد ، الذي غلفته به (أميرة) .. وبلا وعي
منه ، وجد نفسه يقارن بين رقتها ومرحها ، وأسلوبها

***** ٧٤ *****

العفوى البسيط ، وبين صرامة (أميرة) وحزمها ،
وأسلوبها العملي الجاف ..

من المستحيل أن نقول إنه قد أحب (كوثر) في
هذه المحطات القصار ، إلا أنه بدأ يشعر بالارتياح
تجاهها ، مما جعله يقول في صوت خافت ، وهو يوقف
سيارته أمام منزلها :

— لقد أسعدني الوقت الذي قضيناه معاً يا (كوثر).

نهلت أساريرها ، وتخضب وجهها بحمرة الخجل
والفرح ، وهي تقول في همس :

— أحقاً ١٩ .

تأملت ابتسامة صافية فوق شفثيه ، وهو يقول
في هدوء :

— نعم .. لقد أسديت لقلبي خدمة لن ينساها أبداً .

كان يقصد بقوله ، أن مرحها العفوى الرقيق قد
انتزع من قلبه آلام لقائه الأخير مع (أميرة) ، ولكنها
استقبلت العبارة بسعادة فائقة ، وبمزيد من حمرة
الخجل ، وقد خيل إليها أنه يبتسأ حبه بأسلوب غير

***** ٧٥ *****

مباشرة ، فأطرقت برأسها في حياء ، وعجزت عن النطق
من فرط سعادتها ، في حين أشار هو إلى منزلها ، وهو
يقول :

— هل تعلمين أنك تقيمين إلى جوارى تماماً ، فأنا
أقيم في البناية المجاورة لكم ؟
هتفت في فرح :

— حقاً !! هذا يعني أن طريقنا واحد .

ابتسم ، وهو يقول :

— وسيسعدني أن أدعوك للذهاب إلى العمل ،
والعودة منه في سيارتي ، ما لم يضايقك ذلك .

اختلج قلبها بين ضلوعها كجناحي فراشة رقيقة ،
تهبط على أوراق زهرة يانعة ، ورفعت عينها تملؤها
بوسامته وحنانه ، دون أن تتفوه بكلمة واحدة ، ثم
أسرعت تغادر السيارة قبل أن تغلبها مشاعرهما ، فتلقى
بنفسها بين ذراعيه ، وغغممت في صوت مهدج ، وهي
تلوح له بكفها :

— سأنتظرك صباح الغد .

***** ٧٦ *****

ثم أسرع ترقى درجات سلم المنزل في خجل ،
في حين بقي هو يتابعها ببصره لحظات ، وابتسامته
الجلابة لا تفارق شفثيه ، حتى غابت عن عينيه ، فهبط
من سيارته بدوره ، وأتجه إلى منزله ، ولم يكده يلججه
حتى استعاد ذهنه ملامح (أميرة) وجمالها ، واحتلت
صورتها كيانه كله ، فجلس على أقرب مقعد مجاور
الباب ، وغغم في عتاب :

— لماذا فعلت ذلك يا (أميرة) ؟

وتلاشت صورة (كوثر) من عقله تماماً ، حينما
احتل قلبه موقع الصدارة ، وهو يحمل صورة (أميرة)
ويبحث في حيرة عن تفسير لموقفها ..
ولم يكن يدري في تلك اللحظة أن موقف (أميرة)
تجاهه ، لم يعد متضارباً متخبطاً ..

لقد حسمت موقفها ، وصارحت قلبها بحبه ..
ومن العجيب أن هذه المصارحة قد قلبت كيانه
كله ، وحوّلتها إلى مخلوق آخر ، حتى أنها أدهشت أمها
وشقيقته بذلك المرح المفاجئ ، الذي ملأ نفسها ، وهي

***** ٧٧ *****

تناول ذلك الطعام ، الذى أعدته لها أمها ، فى شهية واضحة ، مما جعل (غادة) تبسم فى حنان ، وهى تقول :

— (أميرة) .. إنك تبدين رائعة .

فى حين رفعت أمها كفيها ، وهى تدعو الله (سبحانه وتعالى) قائلة :

— اللهم أدم عليها مرحها وسعادتها .

ضحكت (أميرة) ، وهى تقول :

— هل أبدو مختلفة إلى هذا الحد ؟

ثم حلت مشبك شعرها ، وتركته يفسدل على كفيها ، وهى تقول فى مرح :

— كيف سأبدو إذن ، حينما أفعل ذلك ؟

هتفت (غادة) فى حماس :

— كملكة جمال العالم .

وارتفع حاجبا الأم فى حنان ، وهى تقول :

— لِمَ تخفين جمالك هذا يا بنيتى ؟ .. إنك أجمل

بنات الحى ، ولا ينقصك إلا ..

***** ٧٨ *****

بترت الأم عبارتها فجأة ، خشية أن تغضب ابنتها ولكن الدهشة مرت فى أعماقها ، حينما ضحكت (أميرة) فى مرح ، وهى تقول :

— الزواج .. أليس كذلك ؟

ترقرقت دموع الأم فى عينيها ، وهى تنغم فى

حنان :

— لأنها أمنتى أنا وأبيك يا بنيتى .

تسلت حمرة الخجل إلى وجنتى (أميرة) ، وهى

تغض من بصرها ، مخمضة :

— يبدو أن أمنتكما ستتحقق قريباً يا أماه .

حدقت (غادة) فى وجه شقيقتهما بمزيج من الدهشة

والفرح ، فى حين تهلت أسارير الأم ، وعجز لسانها

عن النطق لحظات ، قبل أن تهتف فى سعادة غامرة :

— أحس ما تقولين يا (أميرة) ؟ .. وا فرحتاه ..

إنه يوم المنى يا بنيتى الحبيبة .

واحتضنت ابنتها فى حنان دافق ، وفرح غامر ،

***** ٧٩ *****

وانطلقت دموع الفرح من عينيها لتبلل وجه (أميرة) ،
وهي تردف :

— سيظهر والدك فرحاً حينما أخبره .

نعمت (أميرة) في صوت خافت ، مقفم بالحياء :
— لا تخبريه الآن يا أماء .. ليس قبل أن ..

لم نجد ما تم به عبارتها ، فأثرت الصمت ، في
حين أخذت أمها تغمر وجهها الجميل بقبلات الفرح ،
وهي تضمها إلى صدرها في حنان ، وهتفت (غادة)
في شغف :

— أهو شخص نعرفه ؟

ابتسمت (أميرة) في خجل ، وهي تقول :

— هل تذكرين (ماهر) ؟ .. (ماهر عبد الله) ؟

عقدت (غادة) حاجبيها ، وكأنها تحاول اعتصار
ذهنها لتذكره ، ثم هتفت في فرح :

— هل تقصدين زميلك الوسيم ، صاحب أجمل
ابتسامة في العالم ؟

***** ٨٠ *****

أومات (أميرة) برأسها في خجل وفرح ، فأطلقت
(غادة) صيحة مرحة ، قبل أن تقول في حماس :

— ستكونان أجمل زوجين في العالم كله ،
وستنجبان أجمل الأبناء — بإذن الله — .

ثم مالت على أذن شقيقها ، واستطردت في اهتمام :
— ومتى يمكننا إعلان الخبر السعيد ؟

نعمت (أميرة) في فرح :

— قريباً يا (غادة) .. قريباً جداً ..

نفس العبارة رددتها لنفسها ، وهي ترتدى ثيابها
في الصباح التالي ..

لقد تركت منظرها الطبي يستقر وسط أدوات
الزينة ، دون أن تلتفت إليه ، وحرصت على إسدال
شعرها الأسود الناعم على كتفيها ، وتصفيقه على نحو
زاد من جمالها وتورّد وجنتيها ، وانتقت لنفسها ثوباً
زاهي الألوان ، يوحي بالبهجة والفرح ، ووضعت
قليلاً من طلاء الشفاة في خجل ، وكأنها تفعل ذلك من
أجل (ماهر) وحده ..

***** ٨١ *****

ولقد أدهشتها تلك الصورة الرائعة ، التي طالعتها
في المرأة ، وهي تلقى عليها نظرتها الأخيرة ، قبل أن
تغادر منزلها ..

لقد كانت صورة (أميرة) أخرى ..
صورة فتاة رائعة الجمال ، بالغة الرقة والأنوثة ..
ولقد قرأت ذلك في عيون الجميع ، وهي تتجه
إلى حيث تقبع سيارتها الصغيرة ..

عشرات من نظرات الدهشة والإعجاب تتابعها
في انبهار ، وكان أصحابها يرونها لأول مرة ..
حتى عامل الجراج وقف يتطلع إليها فاعترأ فاه ،
خاصة حينما خاطبته بلهجة بالغة الرقة ، تختلف تماماً عن
أسلوبها الصارم ، الذي اعتاده دوماً ..

وانطلقت هي بسيارتها ، واللهفة تملأ كيائها كله .
كانت تلهف لمقابلة (ماهر) ، ورؤية الدهشة
والإعجاب في عينيه ، وهو يتطلع إلى مظهرها الجديد .
كانت تحلم باللمحة التي تضمهما ، وبالأسلوب
الجديد الذي ستعامله به ، وبكلماته الحانية الرقيقة ..

كانت تتمنى لو أنه بثها حبه هذه المرة ..
كانت تتمنى أن تتحوّل أحلامها كلها إلى حقائق
بعد لحظات ..

وفجأة .. غاص تحتجر بارد في قلبها ..
تحتجر قاس حاد ، مزق كل أحلامها وآمالها ..
وضغطت كايح سيارتها في قوة ، حتى أن السيارة
توقفت فجأة في عرض الطريق ، وكادت السيارات
الآتية خلفها تصطدم بها في عنف ، قبل أن تنحرف
عنها ، ويصرخ قائدوها بعبارات ساخطة حانقة ..

لم تشعر بكل هذا ، ولم تنتبه إليه ؛ لأن بصرها ،
وعقلها ، وذنها ، كانت متحدق في مشهد لم تكن
تتوقعه أبداً ..

لقد رأت (ماهر) ، وهو ينتظر (كوتر) أسفل
منزلها ، ويستقبلها في حرارة واضحة ..
رأتهتا تتأبط ذراعه والحب يملأ كل خلجة من
خلجات وجهها ، ويتفجر كالبركان في نظراتها
وعينيها ..

« هل وصلتكم أنباء المعجزة ؟ »
 هتف (أمين) بهذه العبارة فى مرح ، وهو يخطو
 داخل الحجره ، فالتفت إليه (حسام) و (كوثر) ،
 و (ماهر) الذى سأله فى هدوء :
 - أية معجزة ؟

مال (أمين) إلى الأمام ، ورفع ذراعه فى حركة
 مسرحية ، وهو يقول فى لهجة من يلقى بياناً هاماً :
 - الآنسة (أميرة) حصلت على إجازة عارضة
 اليوم .

تجلست الدهشة فى وجهى (كوثر) و (حسام) ،
 فى حين عقد (ماهر) حاجبيه ، وهو يقول فى قلق
 واضح :

- إجازة عارضة ؟ لماذا ؟
 هتف (أمين) فى مرح :
 - لا يهم لماذا يا صديق .. المهم أنها أول مرة
 تفعل فيها ذلك .

ورأتها يلدقان إلى سيارة (ماهر) ، التى انطلقت
 فى هدوء ..

وتسمرت (أميرة) فى مكانها ، واغرورت عينها
 بدموع القهر والألم واليأس ..
 لقد خسرت (ماهر) فى اللحظة التى أرادت فيها
 أن تربحه ..

لقد تأخرت عن ركب الحب ، ووصلت بعد
 فوات آخر عرياته ..

وتجمدت دموعها فى مقلتها ..
 تجمدت مع ذلك الجليد الذى عاد يغلف قلبها ،
 ويمحو خفقانه وحرارته ..
 لقد ضاع الحب .. وعاد الجليد .



ازداد انعقاد حاجبي (ماهر) ، وهو يقول في
مزيد من القلق :
— هذا أكثر مدعاة للقلق يا (أيمن) ، فربما كانت
مريضة أو ..

قاطعه (حسام) في هدوء :
— اطمئن يا أستاذ (ماهر) .. إنها ليست مريضة.
التفت إليه (ماهر) في دهشة ، وهو يغمغم :
— كيف يمكنك أن تجزم ؟
ابتسم (حسام) ابتسامة الواثق ، وهو يجيب في
هدوء :

— الآنسة (أميرة) شديدة الالتزام بلوائح العمل ،
ولو أنها مريضة لطلبت إجازة مرضية ، لا إجازة
عارضة .

ظل وجه (ماهر) يعبر عن قلقه الشديد ، وهو
يلتقط سماعة الهاتف ، قائلاً :
— لن يضيرنا أن نحاول الاطمئنان عليها .. من
منكم يعلم رقم هاتفها الخاص ؟

***** ٨٦ *****

جاءت الإجابة من بين شفتي (كوثر) ، في صوت
يحمل مزيجاً من الحسق والغبرة ، وهي تقول :
— إنها لا تمتلك هاتفاً في منزلها .

لم ينتبه (ماهر) إلى ما يحمله صوتها ، وهو
يسألها في اهتمام :

— أنت واثقة ؟

أجابته في رعدة :

— تمام الثقة .

ثم أردفت في عصبية :

— ثم ماذا يعنيك من شأنها ، حتى يتتابك الجزع

من أجلها إلى هذا الحد ؟

انتسابه الخجل من مغزى عبارتها ، فأعاد سماعة

الهاتف في بطة ، وهو يقول في صوت شديد الخفوت :

— إنها رئيسة القسم ، وزميلة العمل .

نقل (أيمن) بصره بين (ماهر) و (كوثر) في

بطء ، ثم اتجه إلى مكتبه ، وجلس يراجع بعض

الأوراق في صمت ، في حين فتح (حسام) فمه ، وكأنه

***** ٨٧ *****

بهم بنطق عبارة ما ، إلا أنه لم يلبث أن أطبق شفتيه ،
وهز كتفيه ، وعاد ينهمك في عمله ، وظلت (كوثر)
تراقب القلق الواضح في ملامح (ماهر) لحظة ، ثم
نهضت من خلف مكتبها ، وجلبت مقعدها إلى مكتبه ،
وجلست إلى جواره ، دون أن تهتم به (أيمن) ، الذي
تطلع إليها في دهشة ، ولا بد (حسام) ، الذي اختلس
النظر إليها ، وهو يتظاهر بانهماكه في عمله ، ومالت
نحو (ماهر) تسأله في صوت خافت ، يمتلئ بالغيرة :
- لماذا يقلبك غياب الآنسة (أميرة) إلى هذا
الحد ؟

صمت لحظة ، وهو يحاول القرار بعينه من عينيها
الفاحصتين ، ثم هز كتفه ، وهو يقول في بطء :
- قلت لك إنها رئيسة القسم و ..
قاطعت في عصبية :
- لن يقتنعني هذا .
ثم عادت تسأله في قوتر ، وبلهجة وكيل النيابة ،
وهو يستجوب متبهاً مراوفاً :

- هل كنت تعرفها من قبل ؟
تظاهر بالمرح ، وهو يقول :
- أهو تحقيق ؟
فرجئ بها تهتف في غضب :
- نعم .

وتضرج وجهها بحمرة داكنة ، حينما فوجئت
بارتفاع صوتها ، فعادت تحفضه إلى الهمس ، وهي
تقول في ضراعة :
- أوجوك يا (ماهر) .. أريد أن أعرف .

رأت عينية تتسعان في ذعر ، ووجهه يشحب على
نحو عجيب ، فأمسكت كفه في جزع ، وهي تهتف
في همس :

- رباه !! .. ماذا أصابك ؟
جذب كفه من راحتها في رفق ، وابتم ابتسامة
أشد شحوباً من وجهه ، وهو يقول في خفوت :
- لا شيء يا (كوثر) .. إنها مجرد وعكة خفيفة .
لكنها شعرت أنه يكذب ..

ولقد كان شعورها صادقا ، ولكنها لم تدرك أبداً
سرّ شحوبه ، ولا اتساع عينيه ..

ولو أنها أدركت السر لحفظتها لسقطت ذبيحة
مشاعرها ..

لقد فهم (ماهر) فجأة ما خفي عليه منذ البداية ..
فهم أن (كوثر) غارقة في حبه ..

لم يصدق الأمر في الوهلة الأولى ، فلقد كان هذا
ثاني أيامهما معاً ، ولم يمكنه استيعاب وقوعها في حبه
بهذه السرعة ، ولكن حديثها ، وغيرها الواضحة ،
ورغبتها القوية في معرفة سر اهتمامه بغياب (أميرة)
كانت تشي بحقيقة مشاعرها ..
وهاله الأمر ..

شعر أنه أخطأ ، حينما منحها حنانها واهتمامه بهذه
السرعة ..

لقد تصوّر أن علاقتهما لن تتعدى حدود الزمالة في
العمل ؛ لأنه لم يتصور أبداً أنها تحمل كل هذا القدر

***** ٩٠ *****

من الرومانسية في أعماقها ، ولا أنه فارس أحلامها ،
الذي تبحث عنه دائماً ..

وأربكته المفاجأة ، وبعثت في نفسه مزيداً من
الحيرة ، فأخذ يتطلع إلى وجهه (كوثر) دون أن يدري
ماذا يفعل ؟ وكيف ينتزع من قلبها هذا الحب الزائف ؟
وانتزعته (كوثر) من حيرته وهي تسأله في ضراعة :

— قل لي يا (ماهر) .. هل كنت تعرفها من قبل ؟
أشاح بوجهه عنها ؛ ليخفي توتره ، وهو يقول في
خفوت :

— نعم يا آنسة (كوثر) .. لقد كنا زميلين في
دفعة واحدة .

ضغط حروف لقب (آنسة) ، وكأنها يؤكد لها أن
مشاعره نحوها لا تعدو صداقة العمل ، إلا أنها لم تثبته
لذلك ، مع اهتمامها الشديد بإجابته ، ومع اتساع عينها
ذعراً ، وهي تسأله :

— فقط ؟ !

خفض عينيه وهو يغمر في صوت شديد الخفوت :

***** ٩١ *****

— وهل يبدو لك الأمر أكثر من ذلك ؟

لم تكن إجابته مقنعة ، حتى بالنسبة إليه ، فقد كان الحزن يقطر كالسم من حروف كلماته ، والإحباط يغلفها بغلاف واضح سميك ، ولقد كادت (كوثر) تجيبه بـ (نعم) ، لولا أن أمسك قلبها بحروف الكلمة ، ومنعها من نطقها ، فلاذت بالصمت الذي أحاطهما لحظات ، ثم غمخت :

— يكفيني ذلك .

وعادت تجذب مقعدها إلى مكتبها في هدوء ، وتلتقط بعض الأوراق ، دون أن ترفع عينها إلى (ماهر) الذي شعر بالأسف من أجلها ، وحاول أن يبحث عن وسيلة لإصلاح الأمر ، إلا أن أفكاره تسلت على الرغم منه إلى (أميرة) ..

إلى الفتاة الوحيدة في هذا الكون ، التي مازالت تحتل قلبه كله ..

وراح يتساءل : هل فرغت منه بعد صدام أمس ؟ هل كرهت رؤيته ؟ ..

***** ٦٢ *****

وراح قلبه يصرخ في لوحة : أين أنت يا (أميرة) ؟

أين أنت يا مهبجة فؤادي ؟ ..

ولم يصل نداء قلبه ، في هذه اللحظة ، إلى قلب (أميرة) ، فقد كان قلبها يبكي في مرارة ، لمتزوج دموعه بدموع عيبتها ، وهي تخفي وجهها في وسادتها ، وتنتحب على نحو مؤلم ..

لقد انفطر قلبها وتحطم حينما رأت (ماهر) و (كوثر) معاً ، وأمرعت تعود إلى منزلها ودموعها تملأ وجهها ، حتى أنها أثارت دهشة عامل الجراج الذي لم يبادها كلمة واحدة وهي تسلمه السيارة ، وتسرع خارج المكان .. وكم بدت لها شقتها الأنيقة خاوية ، باردة وهي تلجها هذه المرة ..

وكم شعرت برغبة قوية في أن ترتدى بين ذراعي أمها ، وتبكي على صدرها .. والعجيب أنها لم تدر كم من الوقت استغرقه بكاؤها إلا أن وسادتها كانت مبتلة تماماً حينما رفعت رأسها عنها وقد جفت دموعها تماماً ..

***** ٦٣ *****

وجلس على طرف فراشها تسترجع طعنة قلبها
النجلاء ..

استرجعت حديثها مع شقيقتها ، وذلك التبدل الذي
أصاب مشاعرها وشخصيتها بعده ..

استرجعت مرحها وفرحها ، وهى تشرح
مشاعرها لأُمها وشقيقتها ربما لأول مرة فى حياتها كلها ..

واسترجعت ذلك المشهد الذى أدى قلبها ..
مشهد (كوثر) ، وهى تتأبط ذراع (ماهر) بكل

الحب ..

وانتابها شعور قوى بأنها حمقاء مخدوعة ..
حمقاء لأنها كشفت مشاعرها ، قبل أن تتبين

خطواتها القادمة فى حذر ، كمعادتها كلما أقدمت على
أمر ما ..

حمقاء لأنها وثقت فى حب لم يصرح به صاحبه ..
حمقاء لأنها سمحت له بخداعها ..

كيف ستواجه أمها وشقيقتها ، حينما يسألونها :
متى سيأتى (ماهر) لخطبتها ؟ ..

***** ٦٤ *****

كيف ستواجهه هو ، بعد أن كشفت خداعه ؟ .
وازداد ذلك الغلاف الجليدى الذى يحيط بقلبها
سمكاً ، وقساوة ..

وألقت عواطفها كلها جانباً ، ونهضت من فراشها
فى صرامة وحزم ، ووقفت أمام المرأة تتأمل وجهها

لحظة ، ثم رفعت شعرها الناعم المتسدل ، وعادت
تعقسه خلف رأسها على نفس النحو الصارم القديم ،

والتفتت منظرها الطبي ، ووضعت فوق عينها ،
وعادت تتطلع إلى المرأة ، وتتأمل صورتها الصارمة

التقليدية ..

ومن العجيب أنها شعرت بالارتياح ..
شعرت بعنادها وكبريائها يعودان لاحتلال نفسها ،

وكيانها ..

وعقدت حاجبها فى صرامة ، وعادت تتطلع إلى
صورتها ، وهى تغتم فى مزيج من الغضب والحزم :

- ستدفع الثمن يا (ماهر) .. ستدفع الثمن .

***** ٦٥ *****

بدت (أميرة) في اليوم التالي شديدة الشحوب والذبول ، على الرغم من أن مظهرها لم يختلف كثيراً عما ألفه موظفوها ، حتى أن أحدهم لم يفتبه إلى ما اعتراها ..

إلا (ماهر) ..

لم يكنك يلمح شحوبها وذبولها ، حتى ارتسم الجزع في ملامحه ، وأسرع إليها يسألها في لهفة :

— حمداً لله على عودتك يا (أميرة) .. كيف

حالك ؟

حدّجته بنظرة نارية غاضبة ، وهي تقول :

— آنسة (أميرة) يا أستاذ (ماهر) ، ثم إن حالي

ليس من شأنك .

لم يدب حشّه أسلوبها أو يؤلمه هذه المرة ، فقد كان قلقة عما أصابها أعرق من أن يلتفت إلى صرامتها ، التي جعلته يألّفها ويعتادها في يومين فقط ، ولكن هذا لم يمنعه من أن يبتسم في مرارة ، وهو يقول :

***** ١٦ *****

— أنت رئيسة العمل يا آنسة (أميرة) ، وزميلة

دراسة قبل كل شيء .

رفعت رأسها في اعتدال ، وشملت جسده ، من أسفله إلى أعلاه ، بنظرة متفطّرة ، قبل أن تقول في برود :

— هذا صحيح ، ولكنني أرجو ألا تنسى أبداً أنني

رئيسة العمل .

وابتعدت عنه بخطوات عصبية سريعة ، وكأنها تحاول منعه من التفوه بكلمة أخرى ، وتابعها هو ببصره في ألم وحيرة ، حتى سمع صوت (كوثر) إلى جواره ، تقول في حدة :

— إنها إنسانة ضعيفة متعالية .

هتف في استنكار :

— (أميرة) !؟ .. أنت مخطئة يا (كوثر) .. إن

(أميرة) مخلوقة رقيقة للغاية ، ولكنها تحيط نفسها بذلك القناع الصارم البارد ، حتى يمكنها السيطرة على العمل فحسب .

***** ١٧ *****
(٧ - وذاب الجليد - زهور)

شعب وجه (كوتر) ، وارتجف قلبها مع تلك
النبرة الحانية في صوته ، وأطرقت برأسها وهي تقول
في استسلام :

— نعم .. ربما كنت على حق .

لم يعد لديها من شك في أنه يحب (أميرة) ..
بل إنه يعشقها ..

العاشق وحده هو من يمكنه أن يغفر أية إساءة ..
العاشق وحده لا يرى أخطاء من يعشق ..

وتساءلت في أعماقها بحق عن سر حبه لـ (أميرة) ،

ووجدت نفسها تعترف بأن (أميرة) جميلة حقاً ، على
الرغم من عدم عنايتها بمظهرها وهندامها ، ولكنها لم
تكن تمجد فيها أبداً تلك الرقة التي يتحدث عنها (ماهر) .
وكاد اليأس يملأ أعماقها ، لولا أن تذكرت أن

أسلوب (أميرة) في معاملته لا يشق أبداً عن مبادلتها
إياه هذا الحب ، فعاد الأمل ينتعش في نفسها ، وعاد
قلبها يخفق من جديد ..

أما (ماهر) فقد ظل عقله مشغولاً بـ (أميرة)

***** ٩٨ *****

طيلة الوقت ، على الرغم من محاولاته المستميتة لمحو
صورتها من خياله ..
لقد أصبح يراها في كل لحظة ، ومع كل نبضة
من نبضات قلبه ..

إنه يحبها من أعماق كيانه ومشاعره ، ويعلم أن
صرامتها وبرودها هما نتاج خلط في أسلوب تعاملها مع
الآخرين ، ولكنها ليسا حقيقة في تكوينها ..

لقد عرفها منذ زمن ..

عرف رقتها وحنانها ..

لمسها بمشاعره وقلبه ، قبل أن يتبدل حالها على
هذا النحو العجيب ..

ترى هل يمكن أن يتبدل الإنسان إلى هذا الحد ،
خلال سبع سنوات فقط ؟

ترى هل يمكن أن يتقلب الملك الرقيق إلى شيطان
قاس ، في هذه الفترة القصيرة ؟ ..

أدهشه أنه قد أصبح يفكر في (أميرة) طيلة
الوقت تقريباً ..

***** ٩٩ *****

بل إن خياله يرسم صورتها أمامه ، كأنما هو يراها بالفعل ..

يرأها أمام مكتبه ، تنطلع إليه في غضب ، و ..
كلاً .. إنها ليست صورة وهيئة صنعها خياله ..
إنها (أميرة) نفسها ..

لقد انتزعته صيحتها الصارمة من أحلامه ، حينما
هتفت في حدة :

— أستاذ (ماهر) .. إنني أتحدث إليك منذ
لحظات .

ارتجف جسده ارتجاف خفية ، لم يلحظها سواه ،
حينما فاجأته صيحتها ، فتطلع إليها لحظة في دهشة ، ثم
أجاب في هدوء :

— ماذا تريدن يا آنسة (أميرة) ؟
دفعت أمامه ملفاً ضخماً ، وهي تقول في نبرة
صارمة :

— أريد منك أن تقرأ هذا الملف جيداً ، وتعد لي
تقريراً مختصراً عنه .

***** 1.0 *****

تصفح بعض أوراق الملف في هدوء ، ثم أجاب :

— كما تأمرين يا آنسة (أميرة) .

حمل صوتها لهجة التحدي ، وهي تقول :

— وأريد هذا التقرير على مكثي غداً .

رفع عينيه يتطلع إليها في هدوء ، وقرأ نظرة
التحدى فيهما واضحة ، فأجابها في برود ، لا ينم أبداً
عما يعمل في نفسه من غضب :

— لن يمكنني ذلك .

صاحت في حنق :

— ماذا تقول ؟

تألفت عيناه بنظرة شديدة الصرامة ، وهو يقول :

— أقول إنني لن أتمكن من ذلك ، قراءة الملف

وحدوها محتاج إلى ثلاثة أيام ، و ..

قاطعت به صرخة غاضبة :

— ستفعل ما أمرك به .

أشاح عنها بوجهه ، وهو يقول في برود :

— لن يمكنني ذلك .

***** 1.1 *****

احتقن وجهها في شدة ، وارتجف جسدها وهي
تلوح في وجهه بسباتها ، وبدا من انفراج شفيتها أنها
تنوى النطق بعبارة ما ، إلا أنها استدارت فجأة ،
وغادرت الحجرة في خطوات عصبية واسعة ، فتهد
(أيمن) في صوت مسموع ، وقال (حسام) في توتر:
— لماذا تفعل ذلك يا أستاذ (ماهر) ؟

عقد (ماهر) حاجبيه ، وهو يقول في حدة:
— أفعل ماذا ؟ .. كل ما فعلته هو أنني كنت
صريحاً معها ، وأخبرتها أن ما تطلبه مني مستحيل .
هتفت (كوثر) في حماس:
— هذا حقك .

ولكن (حسام) انلغع يقول في عصبية:
— لا تنس أنك قد تسلمت عمك منذ ثلاثة أيام
فحسب ، وعقدك ينص على وجود فترة اختبار مدتها
سنة أشهر ، والآتة (أميرة) وحدها هي صاحبة الحق
في إنهاء عقلك في أية لحظة ، لو رأت أنك غير كفء
للعمل .

***** ١٠٢ *****

أشاح (ماهر) بوجهه ، وقال في برود:
— فلتفعل ما يحلو لها .

لم يكذب بعبارة حتى جاء عامل القسم ، وأخبره
أن (أميرة) تريده في مكتبها، فغمغم (حسام) في سخط:
— لقد كنت أتوقع ذلك .

أما (ماهر) فقد نهض في هدوء ، وهو يقول:
— سأوافيها في الحال .

وسار في هدوء إلى مكتب (أميرة) . ووقف
أمامها ساكناً ، يتأملها في برود في حين حدّجته هي
بنفس النظرة النارية ، وهي تقول:

— أريد هذا التقرير على مكنتي غداً .

عاد يكرر في برود:

— لن يمكنني ذلك .

لوحّت بذراعها في سخط ، وهي تقول:

— عليك أن تحاول .. إنك تتقاضي هنا مرتباً
يفوق مرتب الحكومة بعشر مرات ، وعليك أن تبذل
جهداً يساوي ذلك .

***** ١٠٣ *****

أجابها في هدوء :

— إنجاز مثل هذا العمل بتلك السرعة ، سيؤدي إلى الإخلال به و ..

صاحت في غضب :

— لست أحتاج إلى من يلقني كيف أمارس على .
لو أنك تشعر بعدم قدرتك على أداء العمل ، فلتتقدم باستقالتك ، وسأقبلها على الفور .

احتقن وجهه في غضب ، وهو يقول في صرامة :

— محال يا (أميرة) .. لن أقدم باستقالتي أبداً .

صرخت في ثورة :

— بمكني أن أفصلك .

انعقد حاجباه في قوة ، وهو يقول :

— فليكن ، ولكنني لن أقدم باستقالتي أبداً .

ثم أردف في لهجة تنطوي على أكبر قدر من التحدي .

— أبداً .

***** 1.1 *****

١٠ - الاعتراف ..

ظل (ماهر) صامتاً ، عاقداً حاجبيه طوال الطريق وهو يقل (كوثر) بسيارته إلى منزلها ، ولزمت هي الصمت بدورها ، وهي تنطلق إليه في ألم وحزن ، حتى توقفت سيارته أمام منزلها ، فالتفت إليه بعينين ملوَّهما الحنان والحب ، وهي تقول :

— لا تبتئس هكذا يا (ماهر) .. إنها لن تنه عقلك من أجل ذلك .

ابتسم ابتسامة حزينة ، وهو يقول :

— هذا لا يقلقني يا (كوثر) .. صدقيني .

ريَّنت على كفه في حنان ، وهي تقول في صوت خافت :

— انفض عنك كل هذا الحزن إذن .

نغم في همس حزين :

— سأحاول .

شعرت لحظتها بكرامة شديدة لـ (أميرة) ، لأنها

***** 1.0 *****

تسببت في كل هذا الحزن المرتسم في ملامح (ماهر) ،
فهتفت في سخط :

— إنها إنسانة بخيفة مغرورة ..
قاطعها في سحرة :

— كلاً يا (كوثر) .. لا تسبني إليها بكلمة واحدة .
حدقت في وجهه بدهشة ، وغغمت في جزع :

— يا إلهي !! هل يهلك أمرها إلى هذا الحد ؟
خفض عينيه ، وهو يقول في ألم :

— أكثر مما يمكنك أن تتخيلي يا (كوثر) .

اتسعت عينها في ذعر ، وارتجفت شفتاها وهي
تحاول أن تصرخ في استنكار ، إلا أن قلبها الممزق حوّل
صرختها المستنكرة إلى همس خافت ، يقطر بالحزن
والمرارة ، وهي تنغمس :

— هل .. هل تحبها ؟

كان الجواب واضحاً جلياً في عينيه وملاحظه صوته
المتهدج ، إلا أنها تمنّت من كل قلبها لو أنه أجابها

***** ١.٦ *****

بالنفي ، ولكن إجابته جاءت لتهوى على أذنها كصفحة
قاسية ، حينما قال في خفوت وحزن :

— نعم يا (كوثر) .. لأنني أحبها .. أحبها منذ
زمن طويل .. منذ كنا زميلين في الكلية .

ترنحت (كوثر) من هول الاعتراف ، وتوقف
قلبا لحظة ، وكأنه يرفض تصديق تلك الصدمة التي
انتقلت إليه عبر عروقها ، ولكنه لم يلبث أن عاد بمحقق
في قوة ، وهي تنغمس في ذهول :

— تحبها ؟ ..

شعر بالعطف نحوها ، وأحزنه ذلك الألم الذي
ارتسم على ملامحها ، وهي تستطرد في انهيار :

— على الرغم من كل ما تفعله معك ؟

رأى دمة ألم تتحدر من عينيها ، فد أنامله بحفيفها
عن وجنتها في رقة ، وهو يقول :

— آسف يا (كوثر) .. أنا أعلم مشاعرك نحوى ،
ولكنني أكره أن أخدعك .

أمسكت كفه التي تجفف دموعها وهي تقول في حزن :

***** ١.٧ *****

- ولكنها لا تحبك .

وافضحها بإيماءة من رأسه ، وهو يغتم في ألم :

- أعلم ذلك يا (كوثر) ، ولكنني لا أستطيع

منع قلبي من الخفقان باسمها .

تركت دموعها تنهمر ، وهي تقول :

- كم أحسدها ؟

غتم في ألم :

- وكـم أشفق عليها ؟

رفعت عينها للدامعتين إليه في دهشة ، وهي تقول :

- تشفق عليها ؟

- نعم يا (كوثر) .. صدقيني إن ما ترينه من

(أميرة) لا يمثل حقيقتها ، إنها تفتعل كل هذا في سبيل

تحقيق طموحها .

- أي طموح هذا ؟

- للنجاح والراء .

- ولكنها تدفع أنوثتها ثمنًا لذلك .

- إنها لا تتروك هذا ، وربما كان ذلك سرًا شافيًا عليها .

***** ١٠٨ *****

- وهل ستنتظر طيلة عمرك ، حتى تنسبه إلى

خطئها ؟

- لقد انتظرتها طويلاً ، ولن يضيرني المزيد من

الانتظار .

- حتى آخر العمر ؟

- من يدري ؟ ربما كان ذلك أقرب مما نتوقع .

- وماذا لو أنه لم يحدث أبداً ؟

- سأظل أنتظر إلى الأبد .

- وماذا لو أنها تزوجت ؟

جاء سؤالها الأخير كالصدمة ، فائسعت عيناه في

جزع ، ثم ارتسم فيهما ألم رهيب ، وهو يخنى رأسه ،

قائلاً في همس :

- حينئذ فقط ينتهي كل شيء .

لم تدر (كوثر) ماذا تقول أمام كل هذا ..

أتمنى له مزيداً من الحزن ، بأن تزوج (أميرة) ؟

أدعو الله (سبحانه وتعالى) أن يثبت في قلب

(أميرة) حب (ماهر) ؟

***** ١٠٩ *****

هل تحاول أن تقاوم للفوز به ، على الرغم من
اعترافه بحب (أميرة) ؟ ..

هل تستسلم وتسحب ، لتفسح الطريق لـ (أميرة) ؟
عادت تنطلق إلى كل ذلك الحزن المرتسم على
وجهه ، وقرأت فيه انهيار أى أمل لها في التسلل إلى
قلبه ..

لقد كانت (أميرة) تحتل قلبه كله ، حتى أنها لم
تترك فيه ركناً لغيرها ..

ولم يكن أمام (كوثر) إلا الاستسلام والرضوخ ،
فأطرقت برأسها ، وهي تغمغم في انكسار :
- أتمنى لك السعادة يا (ماهر) .

ربّت على كفها في حنان ، وهو يقول :
- أنا أيضاً أتمنى لك كل السعادة يا (كوثر) ،
وأتمنى لك الزواج من الرجل الذى يحبك .

ابتسمت في ألم ، وهي تقول :
- ولكنه يجب امرأة أخرى .
ارتسمت على شفتيه ابتسامة حانية ، وهو يقول :

***** ١١ *****

- هناك رجل آخر ، يحمل لك في قلبه كل الحب
يا (كوثر) .

غمغمت في دهشة :

- رجل آخر ؟ ..

أوما برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

- نعم يا (كوثر) .. ومن العجيب أنك لم تشعرى
بذلك من قبل .

سألته في حيرة :

- من هو ؟

أجابها في حنان :

- (أيمن) .

اتسعت عيناها في دهشة ، وهي تهتف :

- (أيمن) ؟ .. (أيمن) يحبنى أنا ؟

عاد يرمي برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

- نعم يا (كوثر) ولو أنك لاحظت تلك النظرات

المضعة بالحب ، التى يرمقل بها دائماً ، وتلك النظرة

الحزينة التى ترسم في عينيه ، حينما تتحدثين معى في

***** ١١ *****

همس ، أو ترافقتني في سيارتي ، لأدركت أنه غارق في حبك .

شردت ببصرها ، وهي تغتمغ :

— (أيمن) يحبنى ١٢ .. يا لها من مفاجأة ١١

ومسحت دموعها بأناملها في رقة وهي تبسم قائلة :

— يا له من عالم عجيب ١ .. (أيمن) يحبنى ،

وأنا أحبك ، وأنت تحب (أميرة) ، ولا أحد يدرى من تحب (أميرة) ..

تنهد في حزن ، وأطرق برأسه ، وهو يغتمغ :

— نعم يا (كوثر) ، لا أحد يدرى من تحب

(أميرة) ، ومن يملك قلبها ..

ولم يكن هناك في الواقع من يملك قلب (أميرة)

في هذه اللحظة بالذات ..

لقد كان ذلك الغلاف الجليدي الذي يحيط بقلبها

قد أصبح أكثر سمكاً وصلابة ..

تصوّر لها الزائف نخيانة (ماهر) أعاد إلى قلبها

برودة الثلج ، وإلى مشاعرها صلابة الفولاذ ..

***** ١١٢ *****

وكان ذلك القلب البارد ينبض بالكراهية ، والرغبة في الانتقام ..

الانتقام من الرجل الذي يخفق قلبه بحبها ..

والانتقام عند المرأة أقوى وأكثر عمقاً من الحب .

ربما لأن الحب يملأ قلبها ، أما الانتقام فيملأ قلبها

وعقلها معاً ، ويدفعها إلى التفكير والتخطيط والكيد ..

ولقد كان هذا ما يملأ عقل (أميرة) وقلبها في

هذه اللحظة :

كانت تفكر في كيفية إذلال (ماهر) ، وإجباره

على تقديم استقالته ..

كان يمكنها أن تفصله من عمله ، وتنتهى عقده

قبل أن تمضى الشهور الستة الأولى ، إلا أن هذا لم يكن

لينجحها الشعور بالظفر ، بل سيجعله يبدو كبطل شهيد ،

كما أنها لن تستطع تفسير موقفها أمام مجلس إدارة

الشركة ، وستبدو أمامهم في صورة قاسية متعنتة ، وقد

يعوق هذا ترقياتها ونجاحها ..

سيعوق تقدمها في عملها ، الذي لم يعد لديها سواه ،

***** ١١٢ *****

والذى قررت أن تغرق فيه نفسها ، فراراً من شعورها
بالألم والهزيمة ..

وانتهت فجأة من أفكارها القاسية على صوت رنين
جرس منزلها ، فعقدت حاجبها فى مزيج من الدهشة
والحيرة ، وهى تتساءل عن يأتى لزيارتها فى ذلك الوقت ..
وكانت شقيقتها (غادة) ..

وقابلتها (غادة) فى مرح ، وهى تقول :

— هل أيقظتك من نوم عميق ١٢ .. إننى أقزع
الجرس منذ خمس دقائق .

أجابتها (أميرة) فى برود :

— لا .. لم أكن نائمة .

تطلعت (غادة) إلى شقيقتها فى حيرة ، ونغممت
فى ارتباك :

— هل أتيت فى لحظة غير مناسبة ؟

ابتسمت (أميرة) ابتسامة باهتة ، وهى تقول :

— لا تقولى ذلك يا (غادة) .. مرحباً بك دائماً

وعلى الرحب والسعة .

***** ١١٤ *****

ازدادت حيرة (غادة) أمام توتر شقيقتها وبرودها
وفكرت لحظة فى مغادرة منزلها ، إلا أن شعورها بالقلق
لإزاء موقف شقيقتها جعلها تسألها فى صوت خافت قلق :

— كيف حال (ماهر) ؟

عقدت (أميرة) حاجبها فى غضب ، وهى تقول
فى حدة :

— وما شأنى به ؟

اتسعت عينا (غادة) فى دهشة ، وهى تنغمم :

— ما شأنك به ١١٢ .. عجباً !! .. لقد أخبرتنى

أمس الأول أنه ..

قاطعتها (أميرة) فى عصبية :

— كنت مخطئة ، ولا أحب سماع اسمه مرة أخرى .

تطلعت (غادة) إلى وجه شقيقتها فى إشفاق ، ثم

همست فى حزن :

— هل تشاجرنا ؟

صاحت (أميرة) فى استنكار :

— تشاجرنا ١٢ لا يوجد بيتنا ما يستوجب الشجار .

***** ١١٥ *****

تهدت (غادة) ، وهى تقول فى حيرة :

— لست أفهمك يا (أميرة) .

أعادت إليها العبارة ذكرى حوار سابق مع (ماهر)
فتضجر فى أعماقها بركان من الغضب ، جعلها تقول فى
حدة :

— لماذا ترددون جميعاً هذه العبارة ؟ .. لاني
إنسانة عادية ، ولست سرّاً غامضاً إلى هذا الحد .

عادت (غادة) تتهد فى ضيق ، وهى تقول :

— حسناً يا (أميرة) .. لن أناقشك فى هذا الأمر
مرة ثانية .

التقى حاجبا (أميرة) ، وهى تقول فى حدة :

— ماذا تعنين ؟

نعمت (غادة) فى ضيق :

— لا شيء يا (أميرة) .. لا شيء .

أمسكت (أميرة) ذراع شقيقتها فى عنف ، وهى

تقول فى عصبية :

— لست أحب إنهاء المناقشات بهذا الأسلوب .

***** 116 *****

جلبت (غادة) ذراعها من يد أختها فى حدة ،
وهى تهتف فى غضب :

— كفى يا (أميرة) .. لست واحدة من موظفيك
المساكين ، الذين تعاملينهم بكل القسوة والصرامة ،
والذين نسيت أنوثتك من أجلهم .

سقطت العبارة فى قلب (أميرة) كالقنبلة ،
فحدقت فى وجه شقيقتها بدهشة ، وهى تغتم فى ألم :

— نسيت أنوثتي ؟

ارتبكت (غادة) ، وهى تشيح بوجهها ، قائلة :

— أنا آسفة يا (أميرة) .. آسفة .

ثم أسرعت تغادر شقة شقيقتها ، التى ظلت مسمرة
فى مكانها لحظة ، قبل أن تتحس وجهها بأناملها ،
وهى تردّد فى جزع :

— هل نسيت أنوثتي حقاً ؟

ولم يكن هناك منر من اعترافها بذلك ..

ويا له من اعتراف !!

***** 117 *****

مرَّ الأسبوع التالي ببطيئاً متثاقلاً بالنسبة للجميع ..
كانت (أميرة) تحاول مقاومة ذلك الشعور المؤلم
بالضيق ، الذى انتابها منذ واجهتها شقيقتها بأنها تهمل
أنوثتها ..

كانت تحاول مقاومته بمزيد من الانغماس فى العمل ..
وبمزيد من الصرامة والقسوة ..

جزء كبير من هذه القسوة كان موجهاً إلى نفسها ،
وكانها تعاقبها على ما أهملته فى حق نفسها ، والجزء
الآخر كان يغذى رغبتها فى الثأر لقلبها الجريح ،
فتدادى فى معاملة (ماهر) بمزيد من الحدة ، والعصبية
والتعنت ، وكانها تعتبره المسئول الأول عما أصابها ..

ولكنها لم تحاول أبداً المساس بـ (كوثر) ..
كانت تعتقد أن أى محاولة منها لإيذاء (كوثر) ،
ستبدو وكأنها نوع من الغيرة ..
وهي تكره أن تلتصق بها هذه الصفة ..

صحيح أنها تشعر بها قوية فى أعماقها ، وربما كانت
هى السبب الرئيسى فى معاملتها لـ (ماهر) بصلف
وخشونة ، إلا أنها كانت ترفض الاعتراف بها تماماً ..
ربما لأنها ، أو لأن عقلها الباطن كان يعلم أن الغيرة
صورة من صور الحب ، وأن شعورها بالغيرة يعنى
اعترافاً منها بأنها مازالت تحب (ماهر) ، على الرغم من
كل ما تحاول للانتقام منه ..

ولكنها نسيت أن الكراهية أيضاً صورة من صور
الحب ..

فلولا أنها تحب (ماهر) ، ما كرهت اهتمامه
بـ (كوثر) ، وما عاقبته على ذلك ..

ولقد أصبح المنظر الطبي ، وشعر (أميرة)
المعقوص خلف رأسها ، هما رمز صرامتها وحزمها ،
حتى أن الحزم والصرامة يتلاشيان تماماً ، حينما ترفع
منظارها عن عينيها ، أو تسدل شعرها على كتفيها ،
كما لو أنها مصابة بنوع من انفصام الشخصية ، يحكمه
مظهرها ..

أما (ماهر) فلم يفهم أبداً سر تعنت (أميرة)
وقسوتها في معاملته ..
لقد اعتاد أسلوب تعاملها الصارم ، ولكنه لم يفقد
حبه لها أبداً ..

ربما لأنه يعلم أن واقعها يختلف ..
وربما لأن حبه العميق لها كان يهون له صلفها
وعنادها ..

وعلى الرغم من إصرارها على معاملته بأسلوب
سخيف طوال الوقت ، إلا أنه التزم في تعامله معها
أسلوباً مهذباً ، بسيطاً ، وكأنما يعلن لها عدم رغبته في
خوض قتال مع الإنسانية التي أحبها ..

وقرر هو الآخر إغراق أحزانه في عمله ، فانهك
فيه حتى النخاع ، حتى أنه أثار إعجاب الجميع لنشاطه
وبراعته ، وتضاعفت دهشتهم لإصرار (أميرة) على
معاملته بهذا الأسلوب الفج ، حتى سرت بينهم شائعة
عجيبة ، تقول إنها تخشى أن يحتل موقعها في رئاسة
القسم .

وحدها (كوثر) كانت تعلم الحقيقة ..
صحيح أن (ماهر) لم يخبرها إلا بالجزء الذي يعلمه
من الحقيقة ، ولكن غريزتها كأنثى جعلتها تفهم الجزء
الباقى ..

وحدها فهمت أن (أميرة) تحب (ماهر) ، ولكنها
تعاقبه على شيء ما ..

لم يكن من الممكن أن تتصور أنها ذلك الشيء ،
ولكنها كانت أقدر على فهم مشاعر (أميرة) ، ربما
لأنها مثلها .. أنثى ..

وعلى الرغم من أنها لم تتصور ذلك ، إلا أن شيئاً ما
جعلها تمتنع عن مرافقة (ماهر) في سيارته ، كما كانت
تفعل من قبل ..

ولقد كان هذا الشيء هو اهتمامها بـ (أيمن) ..
لقد بدأت تنقبه إلى اهتمامه بها ، وحبه الواضح لها ،
بعد أن أضاء إليها (ماهر) الطريق إلى ذلك ، وأدهشها
أنها لم تلاحظ ذلك من قبل ، فقد كانت كل ذرة في
كيان (أيمن) تعلن عن حبه وهيامه ..

وكم كانت سعادته حينما بدأت توليه اهتمامها ..

حتى (ماهر) شعر بالسعادة ، وهو يتابع اهتمامها
بـ (أيمن) ، وسعادة هذا الأخير بذلك ، وبات واثقاً
من أنه لن يمضي وقت طويل ، قبل أن تزين دبلته
أصابعها ..

ولقد أعاد هذا تفكيره إلى (أميرة) ، وإلى حلمه
القديم في أن تحتل دبلته أصابعها ..
ولكن ذلك الحلم بدا له في تلك الأيام عسيراً ،
بعيد المنال ..

بدا كسراب في صحراء الحياة ، يجذب إليه الظمآن
للحب مرات ومرات ، قبل أن يعلم حقيقته ، فلا يعود
يتطلع إليه ، ويأمله ، بل يكتفي بمراقبته في حسرة وألم ..
ورأوده فكرة الاستقالة أكثر من مرة ، ولكنه
كان يادر بطردها من عقله ، فقد كان بقاءه في الشركة
هو الأمل الوحيد للرؤية (أميرة) ..

وأخذ يتساءل : إلى متى سيحتمل كل هذا ؟ ..

إلى متى سيبطل يحتفظ بـ (أميرة) في قلبه ؟ ..

***** ١٢٢ *****

إلى متى سيواجه عواصفها من أجلها ؟ ..

هل سيمضي عمره كله رياناً شاردأ في بحار حب
عاصف ، متقلب ، متلاطم الأمواج ، يمتلئ بالجرّاح ،
والرياح ؟ ..

هل سيجد يوماً ذلك المرفأ ، الذي يبحث عنه ؟ ..
مرفأ الحب ؟ ..

اكتشفه البأس وهو يسترجع كل مواقفه مع
(أميرة) ، فأطلق من أعماق صدره تهيدة قوية ، جعلت
(سامح) ، و (أيمن) ، و (كوثر) يلتفتون إليه في
دهشة ، قبل أن يضحك (أيمن) في مرح ، ويقول :
— يا إلهي !! لقد كادت تهيدتك تلقى بي من
فوق مكتبي .

ابتسم (ماهر) ، وهو يقول :

— لم أكن أظن أنفاسي قوية إلى هذا الحد .

مال (أيمن) على مكتبه ، وهو يقول في لهجة
مرحة :

— أتهيدة بأس هي أم حب ؟

***** ١٢٣ *****

تسلل بعض الحزن إلى ابتسامة (ماهر) ، وهو يقول في خفوت :

— بعض من هذا ، وبعض من ذلك .

هتف (أيمن) ضاحكاً :

— هو حب يائس إذن .

كان مرجه مؤلماً لـ (ماهر) ، فقد كان يعبر

بمصطلحه عن حالته تماماً ، مما جعله يغمغم في ضيق :

— لست أجد في ذلك مدعاة للسخرية .

ارتبك (أيمن) مع تلك النظرة المستنكرة ، التي

حدّجته بها (كوثر) ، وغمغم في تلغم :

— إنني لم أقصد ذلك .

لوح (ماهر) بكفه ، وهو يومئ برأسه متفهماً ،

ويتمتم في صوت خافت :

— لا عليك .. إنك لم تتجاوز الحقيقة .

بدا الأسف على وجه (أيمن) ، وشعرت (كوثر)

ببعض الحسّ والإشفاق ، في حين لم يرفع (حسام)

وجهه عن أوراقه ، أو يحاول الاشتراك في الحديث ،

***** ١٢٤ *****

وران على الجميع صمت ثقيل ، قطعه عامل القسم حينما جاء يدعو (ماهر) لمقابلة (أميرة) في مكتبها ، وبدون تبادل كلمة واحدة ، نهض (ماهر) ، وغادر الحجرة في هدوء ، فالتفتت (كوثر) إلى (أيمن) ، وهتفت في جدّة :

— لقد كنت بخيفاً .

اصطبغ وجهه بحمرة وردية ، وهو يغمغم في أسف :

— لم أكن أقصد مضايقته .

تهتدت (كوثر) ، وهي تقول في إشفاق :

— ولكنك فعلت .

واستطردت في غمضة خافتة ، وهي تعود إلى

أوراقها :

— لا أحد يدري ما يعانيه ذلك المسكين .

نعم .. لا أحد يدري ما يعانيه (ماهر) ، وبالذات

في هذه اللحظة ..

لقد كان ذلك الهدوء البادي في ملامحه ، يخفي

عاصفة من التوتر في أعماقه ..

***** ١٢٥ *****

إنها أول مرة تطلبه فيها (أميرة) في مكتبها ، منذ أسبوع كامل ، وهو يتساءل مع كل خطوة عن سر دعوتها له ، ويشعر بقلبه يفيض في قوة ، لأنه سيرافق وحدهما ..

واختلج قلبه بالفعل حينما دخل مكتبها ، ووقف أمامها ، يملأ عينيه بملاحمها الجميلة ، التي لم يفقد عشقه لها أبداً ، وجعلته نظراتها الصارمة يشعر بغصة في حلقه وبضيق عجيب يسرى في عروقه ، حتى أنه ظل صامتا لحظات ، حينما سألته في حدة :

— هل أنهيت التقارير التي طلبتها منك ؟

تهد بعد فترة الصمت ، وأجابها في هدوء :

— نعم .

بدا الغضب في ملامحها ، وكأنها لم تكن تتوقع هذا

الجواب ، وقالت في عصبية :

— كلها ؟

أجابها بنفس الهدوء :

— نعم .. أنجزتها كلها .

***** ١٢٦ *****

ضغطت أسنانها في حنق ، ثم قالت في صرامة :
— سأراجعها كلها ، وستعرض لجزء شديد لو وجدت بها خطأ واحداً .
لا يدري لم عجز عن تحمل أسلوبها المتعنت هذه المرة ..

يبدو أنه لم يعد يحتمل هذه الحرب الباردة ، التي تشنها عليه (أميرة) من جانب واحد ..

لقد سألتها فجأة في توتر :

— ماذا تريدن بالضبط يا (أميرة) ؟

صاحت في غضب :

— آتة (أميرة) .

عقد حاجبيه في غضب ، وهو يكرر سؤاله ،

متجاهلا ملحوظتها الصارمة :

— ماذا تريدن يا (أميرة) ؟

بادلته نظرة التحدى ، وهي تقول :

— أريدك أن تتقدم باستقالتك .

سألتها في حدة :

***** ١٢٧ *****

— لماذا؟

أطلق السؤال في جسدها رجفة قوية ، وبعث في أعماقها برودة قاسية ، فقد كان آخر سؤال تتوقع أن يلقيه عليها ..

وارتبكت ..

ارتبكت ؛ لأنه لم يكن في استطاعتها إجابته بالسبب الحقيقي لتعاملها معه بهذا التعنت والصلف ..

بل لم يكن في استطاعتها اختلاق أى سبب منطقي زائف ..

واحتبست الكلمات في حلقها ، وعجزت عن النطق ، وهى تحدق في وجهه بعينين زائغتين ، حتى أنه عاد يسألها في ألم :

— لماذا يا (أميرة) ؟

ترددت لحظة ، ثم هضت في حدة :

— ليس هذا من شأنك .

تألفت تلك اللحظة الحزينة في عينيه بقوة ، وهو

***** ١٢٨ *****

ينطلق إلى وجهها في صمت ، وتحولت إلى نهر من الألم وهو يغمرهم في صوت خافت :

— حسناً يا (أميرة) .. لقد انتصرت .

لم تفهم معنى عبارته للوهلة الأولى ، فتمتمت في مزيج من الدهشة والحيرة :

— انتصرت ؟

أشاح بوجهه عنها ، وهو يقول في ضيق :

— نعم يا (أميرة) .. لقد انتصرت في تلك المعركة لها بلا مبرر ، وأنا أعلن هزيمتي بلا قيد

ت تفهم في حيرة :

هزيمتك ؟

لم في ضيق ، وهو يقول :

نعم .. سأترك لك قسم الحسابات ، بل سأترك لك معركة كلها .. سأقدم استقالتي يا (أميرة) .

رأية النفس البشرية ١١ ..

***** ١٢٦ *****

(٩ - وذاب الجليد - زهور)

لقد جاهدت (أميرة) وقاتلت ، حتى تمحوز هذا النصر ..

حتى تهزم (ماهر) ، ونجبره على تقديم استقالته .
وما هو ذا يحقق لها النصر الذي تنشده ، ولكنها لم
تشعر أبداً بشعور المقاتل الظافر ..

إنها تشعر بخليط من الحزن ، والألم ، والمرارة ..
خليط هو الهزيمة بعينها ..

ولقد تفجّر ذلك الشعور في أعماقها ، وقفز إلى
عينها ، وهي تتطلّع إليه في جزع وذعر ، حتى أنها
كادت تلتقي بنفسها بين ذراعيه ، وتبكي وهي ترجوه
ألا يفعل ذلك ، وتضرع إليه أن يبقى إلى جوارها ..
ولكن عنادها أبقى عليها إلا أن تتأسك ، وتحاول
منع دموعها ، التي تقاتل للقفز من عينها ، وهي
تقول :

— افعل ما يحلو لك .

ألقي عليها نظرة حزينة ، جعلت دموع قلبها تهمر
في غزارة ، وهو يقول في همس مؤلم :

— وداعاً يا (أميرة) .

ثم استدار ، واتجه إلى الباب في خطوات واسعة ،
وغادر حجرتها وهو يغلق بابها خلفه في رفق ، وتركها
تتطلع إلى الباب المغلق في ألم ، قبل أن تطرق برأسها ،
وتترك لدموعها العنان ، وهي تغنم في حزن عميق :
— وداعاً .. وداعاً يا (ماهر) .



لم تدرك (أميرة) كيف أمكنها أن تحيا ، طوال ذلك الشهر ، الذى مرّ منذ ترك (ماهر) الشركة ..
لقد بدت لها الحياة كلها سخاوية ، باردة ، جافة ..
لم تكن تتصور مقدار حبها لـ (ماهر) ، إلا حينما فارقها ..

هكذا نحن البشر دائماً ، لا يمكننا تقدير قيمة المشاعر إلا إذا افتقدناها ، وخسرناها ..
لقد أصبح ذهابها إلى عملها روتينياً سخيفاً ثقيلاً ،
وأصبحت هى إنسانة مختلفة ..
لم تعد رئيس القسم الصارم الجاف ..
عادت أنى هادئة رقيقة ..
ربحت أنوثتها ، بعد أن فقدت حبيبها ..

وانعكس ذلك التغيير على أسلوب تعاملها مع موظفيها فى القسم ، ففقدت تعاملهم معهم فى هدوء وتفهم واهتمام ، أثار دهشتهم جميعاً فى البداية ، ثم لم يلبث أن أثار سعادتهم فيما بعد ..

***** ١٢٢ *****

والعجيب أن ذلك الأسلوب الجديد أدّى إلى مزيد من النشاط والنجاح فى العمل ..
ولاحظت هى ذلك فى وضوح ، وتضاعف حزنها حينما كشفت أنها لم تكن أبداً بالنجاح الذى تتصوره ..
لقد كانت دوماً فاشلة ، قاسية بلا مبرر ..
كل ذلك لأنها كانت تسعى للنجاح والثراء ..
ولقد حازت ما كانت تسعى إليه ، ولكنها لا تشعر أبداً بالسعادة لذلك ..

وطوال ذلك الشهر لم تنس أبداً وجه (ماهر) ،
ولا تلك النظرة الحزينة فى عينيه ، وهو يودعها ..
تلك النظرة التى انتزعت منها الحياة ، وتركها جسداً بلا روح ..

وفى ذلك اليوم ، وبعد مرور شهر كامل على الفراق ، وفى أثناء توقفها بسيارتها أمام منزلها ، سمعت صوتاً يهتف فى فرح :

— (أميرة) .. كيف حالك ؟

التفت إلى مصدر الصوت ، فطالعها وجه زميلة

***** ١٢٣ *****

دراستها (فاتن) ، وهي تتقدم إلى سيارتها في خطوات
ملؤها اللهفة ، ووجهها يتألق بإبتسامة فرحة ، وهي
تدفع أمامها طفلاً جميلاً في السادسة من عمره ، وطفلة
كالبلدر في الرابعة من عمرها ..

وغادرت (أميرة) سيارتها ، واحتضنت زميلتها
القديمة في سعادة ، وهي تهتف في فرح :
- (فاتن) .. كيف حالك أنت ؟

ابتسمت (فاتن) ابتسامة صافية ، وهي تشير إلى
الطفلين ، قائلة :

- في خير حال والحمد لله .. لقد تزوجت
(أشرف) بعد تخرجنا ، وأنجبنا (طارق) و(رانيا) .
داعبت (أميرة) رأس الطفلين في حنان ، وعادت
تسأل زميلتها :

- وكيف حال (أشرف) ؟ .. أين يعمل الآن ؟
- في شركة لصنع الأثاث المنزلي .
- وأنت ؟
- لقد استقلت من عملي :

***** ١٢٤ *****

اتسعت عينا (أميرة) في دهشة ، وهي تهتف في
استنكار :

- استقلت ؟ .. لماذا يا (فاتن) ؟

تطلعت (فاتن) إلى طفليها في حنان ، ثم أجابت
بإبتسامة صافية :

- العناية بـ (طارق) و (رانيا) تستغرق وقتي
كله يا (أميرة) ، و (أشرف) لا يدخر جهداً
لإسعادنا .

وماذا عن طموحك وأحلامك ؟

- (أشرف) هو طموحي يا (أميرة) ، و (طارق)
و (رانيا) هما أحلامي للمستقبل .

- وهل تقضين عمرك كله في انتظار حودة
زوجك من عمله ، وتعملين في المنزل طيلة النهار
كالخادمة ؟

- لا يمكنك أن تتصورى تلك المتعة التي أشعر بها
وأنا أعمل في منزلي يا (أميرة) .. لأنني لم أشعر أبداً أنني
خادمة كما تتصورين ، بل أشعر دوماً أنني ملكة ، لها

***** ١٢٥ *****

ملكها الخاصة ، التي تحرص دائماً على تنميتها ،
وترتيبها ، ومنحها مظهراً جميلاً أنيقاً ، ثم تنتظر عودة
زوجها من عمله ، لتمنحه حبها وحنانها ورعايتها ، وتمحو
بلمساتها الرقيقة غناء يومه الشاق .. صدقيني يا (أميرة)
إنني لم أشعر لحظة واحدة بالندم على استقالي .
كانت (أميرة) تستمع إليها وهي شاردة واجمة ،
وخيالها يصور لها أنها زوجة لـ (ماهر) ، تحيا معه في
مملكتهما المشتركة ، وتنتظر عودته في لفة وسعادة ،
لتغدق عليه فيض عواطفها الجياشة ..

وفي صوت خافت متخاذل ، غمغمت :

— وكل هذا العمر في الدراسة والجامعة .. هل

يذهب سدى ؟

ابتسمت (فاتن) في حنان ، وهي تقول :

— بالعكس .. إنها تساعدني على أن أكون زوجة
متفهمة واعية ، يمكنها أن ترعى أبناءها بأسلوب متحضر
راق ، وتبشهم معارفها وحنانها بالطريقة المثلى ، التي
تحقق لهم النجاح .

***** ١٢٦ *****

ثم ضمت صغيرها إليها في حنان ، وهي تستطرد :
— انظري لى (طارق) و (رانيا) يا (أميرة)
أى طموح يفوقهما ؟
وأى نجاح يعلو عليهما ؟ ..

تطلعت (أميرة) إلى الصغيرين في حنان ، وتسلت
ابتسامتهما الطفولية إلى قلبها ، وتشقق لها غلافه الجليدى ،
وهي تغمغم :

— أنت على حق يا (فاتن) .. هذا هو النجاح
الحقيقى .

ابتسمت لها (فاتن) ، وسألها في اهتمام :

— وأنت يا (أميرة) .. ماذا فعلت منذ تخرجنا ؟

تهللت (أميرة) في أسف ، وهي تقول في خفوت :

— لقد أصبحت رئيس قسم المحاسبة في شركة
كبيرة .

هتفت (فاتن) في فرح :

— رئيس قسم ؟ .. يا لى ١١ .. يبدو أنك قد
نجحت في حياتك العملية يا (أميرة) .

***** ١٢٧ *****

نعمت (أميرة) في حزن :

— نعم يا (فاتن) يبدو ذلك ،

تبادلنا القبلات مرة أخرى في حرارة ، وانصرفت

(فاتن) وهي تحمل ابتسامتها الصافية فوق شفيتها ،

وتمسك طفليها بكفها في حنان ، وثابتها (أميرة)

ببصرها في حزن ، وقد تضعف شعورها بالخسارة ..

وأخذت تسأل نفسها ، وهي تصعد إلى منزلها ،

عما كان يمكن أن يحدث لو أنها تزوجت (ماهر) بعد

تخرجهما ..

هل كانت ستستقبل من عملها ، وتكتفى بمنصب

الزوجة المحبة الخنون ؟ ..

هل كانت ستنجب طفلين جميلين كطفلي (فاتن) ؟.

هل كان ذلك سيكفيها ؟ ..

وجدت نفسها تجيب عن كل هذه الأسئلة

بالإيجاب ، فيصل شعورها بالخسارة إلى ذروته ..

وأخذت تسأل نفسها في ألم ..

ماذا ربحت ؟ ..

شقة أنيقة خالية ، وقلبًا جليديًا باردًا ، ومنصبًا

خفيفًا أورتها كراهية الجميع ..

وماذا خسرت في المقابل ؟ ..

خسرت الحب ، والحنان ، والاستقرار ، والأمومة

والسعادة ..

خسرت (ماهر) .. الرجل الوحيد الذي منحته

قلبها ..

خسرت أنوثتها ورقتها وضعفها ..

لقد خسرت الكثير ، لتربح سرابًا واهيًا باهتًا ..

وأخذت تبكي ..

تبكي في حرارة أذابت كل الجليد من قلبها ..

أذابتها بعد فوات الأوان ..



عبرت (أميرة) حجرة سكرتيرتها ، في اليوم
التالى ، بعينين محمرتين من أثر بكائها الطويل فى الليلة
الماضية ، واستقبلتها سكرتيرتها بابتسامة واسعة ، وهى
تقول فى حرارة :

- صباح الخير يا آنسة (أميرة) .. كيف حالك؟
وبدت لها ابتسامة سكرتيرتها جميلة ذلك الصباح ،
وتختلف كثيراً عن ذلك الوجه الجامد ، الذى كانت
تستقبلها به من قبل ، حينما كانت تعاملها فى صرامة
وحزم ، فجوابتها بابتسامة واهية ، وهى تقول فى رقة :
- فى خير حال يا (دريه) .. كيف حالك أنت ؟
أجابتها السكرتيرة فى حرارة :

- لأننى سعيدة برؤيتك يا آنسة (أميرة) .
كم هو جميل أن يتعامل الناس بذلك الأسلوب
الرقيق الودود !! ..

كم تبدل الحياة حينما ننظر إليها فى تفاؤل وارتياح !!

***** ١٤٠ *****

كم تملأ البهجة قلوبنا حينما نشعر بحب من حولنا !!
وأخذت (أميرة) تتسائل فى دهشة : كيف
كانت تهمل كل ذلك من قبل ؟ ..
كيف كانت صارمة ، قاسية ، عتيفة طوال
الوقت ؟ ..

وجلس خلف مكتبها تتأمل حجرتها الأنيقة فى
شروق ، وهى تستنكر ذلك الثمن الذى دفعته لتفوز بها .
ذلك الثمن الباهظ من أئوتها وعمرها وشبابها ..
واستغرقتها أفكارها الحزينة ، حتى سمعت صوت
سكرتيرتها ، عبر جهاز الاتصال الداخلى ، وهى تقول :
- الآنسة (كوثر) تطلب مقابلتك يا آنسة (أميرة) .
وانتفضت (أميرة) فى قوة ، حينما سمعت اسم
(كوثر) ..

لقد كانت وما زالت تعتقد أن (كوثر) هى
غريمها ، التى انتزعت منها قلب (ماهر) وحبه ..
كانت وما زالت تعتبرها السبب فى كل ما حدث .
ولكنها لم تعد تكرهها ..

***** ١٤١ *****

لقد ذاب جليد قلبها ، فلم يعد فيه مكان للكرهية والغضب ..

وفي هدوء ، أجابت سكرتيرتها :

— دعيتها تدخل يا (درية) .

وضغطت على عواطفها لتستقبل (كوثر) في ترحاب ، وهي تسألها :

— ماذا تريد يا آنسة (كوثر) ؟

أجابتها (كوثر) في هدوء :

— جئت أدعوك لحضور حفل خطبتي .

شحب وجه (أميرة) وهي تقول في صوت مختنق :

— خطبتك ؟ ..

أجابتها (كوثر) في هدوء ، دون أن تنبه إلى ذلك

الشحوب الذي اعتراها :

— نعم .. وسيشرفني حضورك يا آنسة (أميرة) .

منعت (أميرة) دموعها في صعوبة ، وهي تلتقط

بطاقة الدعوة بأصابع مرتجفة ، وحاولت أن تبسم

وهي تغغم في صوت مرتعد :

***** ١٤٢ *****

— ألف مبروك يا آنسة (كوثر) .. بلغي نهائي للأستاذ (ماهر) .

رفعت (كوثر) حاجبها في دهشة ، وهي تقول :

— الأستاذ (ماهر) ؟ .. وما شأنه بذلك ؟ ..

سئم خطبتي إلى زميلي (أيمن) .

اتسعت عينا (أميرة) ، وهي تهتف في دهشة :

— (أيمن) ؟ .. ولكنني تصورت أن ..

عجزت عن إتمام عبارتها مع ذلك الشعور العجيب

الذي تفجّر فجأة في أعماقها ، في حين ابتسمت (كوثر)

ابتسامة باهتة ، وهي تقول :

— ماذا تصورت يا آنسة (أميرة) ؟

ارتبكت (أميرة) وهي تغغم :

— لقد رأيتهما معاً ، وهو يستقبلك أمام باب

منزلك ، ورأيتك تتأبطين ذراعه ، فتصورت أنكما ..

مرة أخرى عجزت عن نطق الكلمة الأخيرة ،

وجاء دور (كوثر) لتتسع عيناها ، وهي تهتف :

— رأيتنا معاً .. إذن فهذا هو السر .

***** ١٤٢ *****

نعمغت (أميرة) في انفعال :

— السر ١٤ .. أى سر ؟

انتقل ذلك الانفعال إلى (كوثر) ، وهو

— سر معاملتك القاسية لـ (ماهر) .

نبضت عروق (أميرة) كلها بجز

والخيرة ، وهى تتمتع :

— ماذا تعنين يا آنسة (كوثر)

تهددت (كوثر) في أسف

— يا إلهى !! .. كان

يا آنسة (أميرة) .. لقد ظننت أننى (ماهر) ، متحابان ،

أليس كذلك ؟

ازداد ارتباك (أميرة) ودهشتها ، وهى تقول فى

تلثم :

— بلى .. لقد ..

قاطعها (كوثر) ، وهى تقول فى انفعال :

— خطأ يا آنسة (أميرة) .. خطأ ..

وتضرج وجهها بحمرة الخجل ، وهى تستطرد :

***** ١٤٤ *****

هر) ينتظرنى أسفل منزلى ؛ لأنه

بورة ، ولأننى طلبت منه أن أشاركه

وهو يأتى إلى هنا كل صباح ، ولقد تأبطت

دراعه ؛ لأننى كنت — حينذاك — أحبه ، أما هو

فلم يبادلنى ذلك الحب أبداً .

تسارعت أنفاس (أميرة) ، وهى تقول :

— أبداً ١٤

هزت (كوثر) رأسها نفياً ، وقالت :

— أبداً يا آنسة (أميرة) ؛ لأن قلبه كان يحتل

بحب أخرى .

ونظرت فى عيني (أميرة) مباشرة ، وهى تستطرد :

— بحبك أنت يا آنسة (أميرة) .

اختلج قلب (أميرة) اختلاجة قوية وهى تنكش

فى مقعدها ، مغمضة :

— أنا ١٤

أومأت (كوثر) برأسها لميجاباً ، وهى تقول فى

أسف :

***** ١٤٥ *****

— نعم يا آنسة (أميرة) .. إن (ماهر) لم يحب في حياته كلها سواك ، ولقد كان هذا الحب يعذبه ، وأنت تصرين على معاملته بكل صلف وغطرسة وقسوة ، ولقد احتمل كل هذا لأنه يحبك ، ولأنه يسعد برؤيتك ، ولكنه في النهاية لم يحتمل ، فترك لك الشركة ، وغادر أرض المعركة مدحوراً مهزوماً ..

تأملت الدموع في عيني (أميرة) ، وازداد شحوبها وانكماشها في مقعدها ، في حين استطردت (كوثر) في حزن :

— ليتك رأيته حينما قدم استقالته .. لقد بدا أقرب إلى الموت منه إلى الحياة .. بدا شاحباً ، ذابلاً كمن فقد آخر أمل له في الحياة .

تركت (أميرة) دموعها تبلل وجهها ، وهي تردد في ذهول :

— (ماهر) يحبني .. يحبني أنا .
ثم قفزت من مقعدها فجأة ، واحتضنت (كوثر) في حرارة ، وهي تهتف :

***** ١٤٦ *****

— كيف يمكنني أن أشكرك يا (كوثر) .. لقد أعدت إلى حياتي كلها .

ترقرقت دموع (كوثر) أمام انفعال (أميرة) الجيتاش ، ونغممت في فرح :

— ماذا ستفعلين يا آنسة (أميرة) ؟

أطلقت (أميرة) ضحكة صافية ، وقالت :

— ماذا تتصورين أن أفعل ؟ .. سأذهب إليه بالطبع .. سأرجوه الصفح ، ولننعم معاً بما تبقى من عمرينا ..

هتفت (كوثر) في فرح :

— وفقكما الله .. وفقكما الله .

وأسرعت تغادر مكتب (أميرة) ، ودموعها تبلل

وجهها ، في حين وقفت (أميرة) أمام تلك المرأة

الصغيرة في حجرتها ، ونزعت منظارها عن عينيها ،

وتأملته لحظة ، ثم قالت في هدوء :

— وداعاً أيها المنظار السخيف .. لم أعد أحتاج

إليك .

***** ١٤٧ *****

وألقته أرضاً ، وهشمته بجذائها في قوة ، ثم
تهتت في ارتياح ، وابتسمت في معادة ، وهي تحل
مشبك شعرها ، وتركه لينسدل على كتفها ، وألقت
المشبك من النافذة المجاورة للمرأة ، وكأنها تعلن انتهاء
شخصية (أميرة) الصارمة ، وعودة تلك الرقيقة
الحانية ..

عودة الأنثى التي افتقدتها طويلاً ..
واختطف ورقة من فوق مكتبها ، وأخذت تمخض
عليها كلمات في سرعة ، ثم أسرع إلى مكتب سكرتيرتها
التي اتسعت عيناها في دهشة ، وهي تهتف :
- آنسة (أميرة) .. إنك تبدين بارعة الحسن .
تهلكت أسارير (أميرة) في فرح ، وناولتها الورقة
وهي تقول :

- قدي هذه الورقة لرئيس مجلس إدارة الشركة
يا (درية) ، وصدقيني .. هذا آخر ما سأطلبه منك .
ألقت (درية) نظرة على الورقة ، واتسعت عيناها
في ذهول ، وهي تهتف :

***** ١٤٨ *****

- استفالتك ١٩ .. ولكن لماذا ؟ .. لقد كنا
نتوقع ..
ولكن عبارتها لم تكتمل أبداً ، فقد احتضنتها
(أميرة) ، وقبلتها في سعادة ، وهي تقول :
- سأنتظر زيارتك يا صديقتي العزيزة .
ثم أسرعت تغادر المكتب في خطوات كالوثب ،
والسعادة تتألق في كل خلجة من خلجاتها ، والجميع
يتابعونها في دهشة وانبهار ، وبعضهم يتساءل عن تكون
تلك الفاتنة ، التي لم يلمحها أحدهم في أروقة الشركة
من قبل ..

وقفزت هي إلى سيارتها ، وانطلقت بها في لهفة ،
وقلبها يخفق في عنف ..
أخيراً استندوق الحب ..

أخيراً سجد الاستقرار الذي افتقدته طويلاً ..
يا لروعة تلك الحرارة التي تشعر بها في قلبها !!
حرارة الحب واللهفة !!

ولقد بدا لها الطريق طويلاً ، حتى لقد خيل إليها

***** ١٤٩ *****

ترنحت (أميرة) كأنها قد تلقت صفعه قوية قاسية ، وشحب وجهها حتى بدا وكأنه يخلو من دماء الحياة ، وأثار ما أصابها ذعر البواب وجزعه ، فهتف في توتر :

— ماذا أصابك يا سيدتي ؟

تعلقت بلذعه ، وهي تسأله في صوت مخنق مروع :

— متى ؟ .. متى سافر ؟

أجابها البواب في جزع :

— لقد أخبرني أنه سيغادر القاهرة في طائرة العاشرة والنصف إلى الرياض اليوم .

تطلعت إلى ساعتها في لهفة ، ثم هتفت في انفعال :

— إنها التاسعة والنصف ، مازالت أمامي ساعة كاملة .. مازال هناك أمل .

ورفع البواب حاجبيه في دهشة ، حيناً رأى تلك

أنها قد استغرقت دهرأ ، قبل أن تتوقف سيارتها أمام منزل (ماهر) ، وقفزت منها في لهفة ، وأسرعت إلى البواب تسأله في انفعال :

— أين يسكن الأستاذ (ماهر) ؟

أجابها البواب في هدوء :

— في الطابق الثالث ، ولكنه ليس هنا .. لقد

سافر .

توقف خفقان قلبها فجأة ، وهي تسأله في جزع :

— سافر ؟ .. إلى أين ؟

جاءت إجابته كالصفعة :

— سافر إلى (السعودية) .. لقد حصل على عقد

عمل هناك لخمس سنوات .



الفتاة الشاحبة ، التي كانت تترنح أمامه منذ لحظة واحدة ، وقد تحولت إلى شعلة من النشاط ، وهي تقفز إلى سيارتها ، وتطلق بها في سرعة ، وهي تردد في انفعال :

— مازال هناك أمل .. مازال هناك أمل .

وفي نفس اللحظة التي رددت هي فيها ذلك النداء ، كان (ماهر) يستمع في حزن إلى صوت المضيفة الأرضية ، وهي تقول :

— على السادة ركاب طائرة مصر للطيران ، المتجهة إلى (الرياض) ، الاستعداد لإنهاء الإجراءات قبل التوجه إلى الطائرة .

وتهد وهو يلتقط حقيبته الصغيرة ، ويتطلع في حزن إلى أركان المطار من حوله ..

كان يشعر بألم بالغ ، لأنه سترك تلك الأرض التي نما فيها وترعرع ..

سيترك الوطن الذي شهد حياته وحيه ..

سيترك (أميرة) ، التي لم ولن يحب سواها ..

***** ١٥٢ *****

وانبعثت من أعماقه آهة أسف وهو يغمغم في حسرة :

— (أميرة) !!

نعم .. كل ما كان يملأ قلبه في هذه اللحظة هو (أميرة) ..

(أميرة) التي قتلت حبها دون أن تشعر ..

(أميرة) التي سبحت خلف سراب وهمي ، ولم تكشف زيفه إلا حينما أصبح الشاطئ بعيداً .. بعيداً ..

(أميرة) التي تكاد تبكي الآن ، وتتضرع إلى إشارة مرور ضوئية ، حتى تضئ ضوءها الأخضر ، وتسمح لها بالانطلاق ، على أمل اللحاق به (ماهر) ..

يا لسخرية القدر !!

لقد أضاعت (أميرة) من عمرها السنوات والشهور والأيام ، وها هي ذى تتضرع من أجل الدقائق والثواني .. وتلك الدقائق والثواني تبدو وكأنها أصابها مس من الجنون ، فعقرب الثواني يعدو .. ويعدو ، ليلتهم الدقائق في شراقة وسرعة ، وقلبي يتسارع معه ، وينبض في عنف وقلق ، وثورة ..

***** ١٥٢ *****

وأضاعت الإشارة بالضوء الأخضر ، وعادت
تنتقل بسيارتها ، وهي تلقى نظرة باللغة المقلق على ساعتها
التي أشارت عقاربها إلى تمام العاشرة ..

لم يعد باقياً أمامها إلا نصف الساعة ..
نصف الساعة فقط ..

يا إلهي !! كم أضاعت من أنصاف الساعات ،
ومن الساعات والأيام ..

ووجدت نفسها تهتف في ضراعة :

— لا تتركني يا (ماهر) .. أرجوك .. لا تتركني ..

ليتة يستمع إلى ندائها ..

ليت قلبه يشعر بما يكابده قلبها ..

ولكن قلبه كان يمتلئ بحزن يحجب عنه مشاعرها ،

وهو يقف أمام ضابط الأمن ، الذي فحص جواز

سفره في اهتمام ، وسأله في لهجة ووثيقة :

— هل تسافر للعمل ؟

أجابه في صوت خافت حزين :

— نعم .

***** ١٥٤ *****

أعاد إليه ضابط الأمن جواز سفره ، وهو يسأله :

— ولكن لماذا لا تحاول البحث عن فرص عمل

هنا ؟

نعم (ماهر) في ألم :

— لقد حاولت وفشلت .

لم يكن من عادة ضابط الأمن أن يتبادل الحديث

مع المسافرين ، إلا أن تلك اللمحة الحزينة في عيني

(ماهر) مست شيئاً ما في أعماقه ، فعاد يسأله في

إشفاق :

— وهل ستتغيب طويلاً ؟

ابتسم (ماهر) ابتسامة حزينة ، وهو يقول :

— نعم .. طويلاً جداً .

تأمل ضابط الأمن لحظة في عطف ، ثم منحه

ابتسامة ودوداً ، وهو يغمغم :

— وفقك الله .

وكان توفيق الله (سيحانه وتعالى) هو أكثر

ما يحتاج إليه (ماهر) في أزمته ..

***** 100 *****

أزمته العاطفية ، التي دفعته للتخلي عن حبه .. عن
(أميرة) ..

(أميرة) التي كانت تبتكي في هذه اللحظة بدموع
حقيقية ، وهي تطلق أبواق سيارتها في ألم ، في إشارة
مرور حراء ثانية ..

لم تكن تتصور أبداً أن القاهرة تزدهم بكل هذا
القدر من السيارات ، وإشارات المرور ..

لم تكن قد انتهت إلى ذلك أبداً من قبل ..

وتنمت لحظتها لو أنها وجدت هاتفاً قريباً ، لتتصل
بالمطار ، وتطلب منهم إخبار (ماهر) أنها في طريقها
إليه ، وترجوهم أن يحاولوا إقناعه بالعدول عن السفر .
وواصلت عقارب الساعة عدوها الجنوني ،
وهتفت في أعماقها في ضراعة :

— توقف أيها الزمن .. كن رحيماً بقلب محب ..

توقف .. توقف ..

ولكن هيات ..

سيظل الزمن يمضي ويمضي ، وسيلتهم كل شيء

***** ١٥٦ *****

في طريقه كوحش دموى شرس لا يرحم ولا ينتظر ..
وأطلقت المضيفة الأرضية نداءها الأخير :

— على السادة ركاب طائرة مصر للطيران ،
المتجهة إلى (الرياض) سرعة التوجه إلى الطائرة .

وثلفت (ماهر) في جزع ..

كان يتمنى لو أنه رأى (أميرة) في هذه اللحظة ..

لو أنه فقط رأى وجهها لألقى جواز سفره ،
وقدكرة الطائرة ..

لألقى كل شيء من أجلها ..

واستعرضت عيناه الوجوه في لفحة ويأس ، ثم
أطرق برأسه ، وغغم في أسف وحزن وألم :

— وداعاً يا (أميرة) .. وداعاً يا حبي .

وتوقفت سيارة (أميرة) أخيراً أمام المطار ،
وقفزت هي منها ، وانطلقت تعدو داخله ، وتشبثت
بلراع موظف الاستقبال ، وهي تهتف في لفحة :

— هل رحلت طائرة السعودية ؟

***** ١٥٧ *****

أدهشته لمقتها ، وشحوبها ، وجزعها ، فهتف في
ارتباك :

— تقصدين طائرة (الرياض) ، التي تطلع في
العاشرة والنصف .

هتفت في لهفة ، وهي تلهث من فرط الانفعال :

— نعم .. نعم .. هل رحلت ؟

اكتسى وجهه بالأسف ، وهو يقول :

— للأسف يا سيدتي .. لقد رحلت منذ دقيقة

واحدة .

تراخت أصابعها المسككة بئراعه ، وغارت السماء
من وجهها ، وهي تغغم في ألم وبأس :

— رحلت !!

أشار بسبابته إلى السماء ، وهو يقول :

— ها هي ذى .. آسف يا سيدتي .. لقد تأخرت

دقيقة واحدة .

رفعت عينيها إلى الطائرة بكل ذلك الإحباط الذي
يملاؤها ، وتابعتها ببصرها وهي تشق الهواء ، وتبتعد

***** 108 *****

وتصغر ، وعبارة موظف الاستقبال الأخيرة تردّد في

عقلها وقلبها بقوة ..

لقد تأخرت دقيقة واحدة ..

دقيقة واحدة !! .. بالسخرية القدر !!

لقد ضاعت أحلام عمرها كله من أجل دقيقة
واحدة ..

وتراخت ساقاها ، واكتنفها دوار قوى ، وخيل
إليها أنها ستسقط فاقدة الوعي ..

ولكن لا ..

لقد قاومت طويلا لتحارب (ماهر) وتهزمه ، ولن
تقاعس هذه المرة ، وهي تحارب من أجله ..

من أجل حبه ..

من أجل قلبه ..

وانحدرت من عينيها الدموع ، وهي تتابع الطائرة
التي تبتعد ، وتبتعد ..

لأنها لن تستسلم ..

لن تيأس ..

***** 109 *****

إن العالم لم ينته

لأنه لم يلد

ستواصل

سترسل إلي

يعود من أجلها ..

من أجل حبهما ..

وستنظره ..

ستنظره ولو قضت ما تبقى من

وسيلتقيان ..

سيلتقيان بعد أن عاد الحب ..

وذاب الجليد .

www.liilas.com

١
ر
